(١٤) أبو يزيد البسطامي[١]

ذكر سلطان العارفين أبي يزيد طيفور بن عيسى البِسطامي رحمه الله رحمة واسعة:

كانوا ثلاثة إخوة: آدمُ، وطيفور، وعلي، وكان جدُّهم مجوسيًّا، والإخوان الثلاثة كانوا زهّادًا عبّادًا، وأبو يزيد كان أجلَّهم حالاً.

قيل: مات سنة إحدى وستين ومئتين، والله أعلم.

وكان أكبرَ المشايخ، وأعظم الأولياء، وحجةَ الخلق، وخليفةَ الحقِّ، وقطبَ العلم، ومرجع الأوتاد، ولم يكن له نظيرٌ في الرياضةِ والكرامات والحالات، وكان له في الحقائق والأسرار نظرٌ نافذ، وجدٌّ بليغ، ودائمًا كان في مقامِ القرب والهيبة، غريقًا في بحر الأُنس والمحبّة، ولا يزالُ جسدُه في المجاهدة، وقلبُه في المشاهدة.

وله في روايةِ الحديث أسانيدُ عالية، ما كان لأحدٍ قبله ولا بعده.

وله استنباطٌ عظيم في علم الطريقة إلى أن يمكنَ أَنْ يُقال: إنّه الذي أظهر طريق السير والسلوك.

ولا تخفى كمالاته على أحدٍ، حتى قال الجُنيد رحمه الله: هذا الرجل الخراسانيُّ ـ يعني أبا يزيد ـ بيننا كجبريل بين الملائكة.

---

(١) طبقات الصوفية ٦٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣، الرسالة القشيرية ٥٥، الأنساب ٢/ ٢١٣، المنتظم ٥/ ٢٨، مناقب الأبرار ١٩٢، صفة الصفوة ٤/ ١٠٧، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ١٨٢، معجم البلدان ١/ ٤٢١، اللباب ١/ ١٥٢، وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٦، العبر ٢/ ٢٣، مرآة الجنان ٢/ ١٧٣، الوافي بالوفيات ١٦/ ٥١٤، البداية والنهاية ١١/ ٣٥، طبقات الأولياء ٣٩٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٥، نفحات الأنس ٨٥، طبقات الشعراني ١/ ٧٦، الطبقات الكبرى للمناوي ١/ ٦٥١، شذرات الذهب ٢/ ١٤٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٤٩.

وأيضًا قال رحمه الله: نهايةُ ميدان جميع السالكين إلى التوحيد بدايةُ ميدان أبي يزيد، ولهذا كان يقول أبو يزيد: يعبر مئتا سنة على البساتين لا تُزهر مثلنا[١].

نقلت أُمّه أنه ما دام في بطنها فلو اتّفقَ لها أكلُ طعام فيه شبهةٌ، كان يضطربُ في البطن ولا يستقرُّ إلى أن تتقيَّأَ ذلك الطعام. ومصداقُ هذا الكلام ما سُئل عن أبي يزيد: عمّا يَنبغي للرجلِ في هذا الطريق؟ قال: سعادةٌ من بطن أُمِّه. قيل: فإن لم يكن؟ قال: قلب عارفٌ. قال: فإن لم يكن؟ قال: عينٌ مُبصرة. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أذنٌ سامعة. قيل: فإن لم يكن؟ قال: بدنٌ عامل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت الفجأة.

نقل أنه كان في الكُتّاب يقرأ القرآن، وله أمٌّ، فوصلَ في القراءة إلى قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فاستفسرَ عن الشيخِ معنى الآية، ثم استجاز منه، وذهب إلى أُمّه، فقالت أمُّه بالعجل: جئتَ اليوم يا طيفور؟ قال: نعم، قرأتُ اليومَ هذه الآية، وأنا أرى في نفسي أنّي لا أطيق الشُّكرَيْنِ جميعًا، فإمّا اطلبيني من الله تعالى لأكونَ في خدمتك، وإمّا اتركيني لأشتغل بخدمة الله تعالى. فقالت أمُّه: تركتُكَ لخدمة الله تعالى، ووهبتُكَ منه. فارتحل من بِسطام، وسافر ثلاثين سنة. وكان في البوادي وبلادِ الشام مشغولاً بالرياضة والسَّهرِ والجوع.

وصحب مئةً وثلاثة عشر من المشايخ، واستفاد منهم، ووصل إلى صحبة جعفر الصادق رضي الله عنه.

وكان يومًا في صُحبة الصادق، قال له الصادق رضي الله عنه: ائتني بذلك الكتاب من هذه الطاقة. قال أبو يزيد: أين الطاقة؟ قال الصادق: أنت كم أيام، وكم مرّةٍ تجيء إلى هذا البيت وما عرفتَ الطاقة؟! قال: أنا ما جئتُ لأنظر إلّى

---

(١) في (ب): لا يثمر مثلنا.

الطاقة، وأنا ما جئت إلا لأُصاحبَكَ. فقال له الصادق: ارحلْ إلى بِسطام؛ فإنّه قد تمَّ شغلُكَ.

نقل أنه دخل باديةَ الحجاز، وبقي اثنتي عشرة سنة حتى وصلَ إلى الكعبة عظّمها الله تعالى، وكان يُصلّي ركعتين، ثم يخطو خطوةً، ويقول: ليس دهليزَ سلطانٍ مجازيٍّ حتى أجوزَ فيه دفعةً، وفي تلك السنة ما زارَ النبيَّ ﷺ، وقال: ما جئتُ في هذه السنة لزيارةِ النبيِّ ﷺ، ويكون من سوءِ الأدب أن أزورَ من غير قصد زيارته. فقصد زيارة النبيِّ ﷺ مرّةً أُخرى وجاء إلى المدينة شرّفها الله تعالى.

قيل: رأى في الطريق جمجمةً[١] إنسان مكتوبًا عليها: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] فصاح، ثم أخذَ الجمجمة ويُقلّبها[٢] ويقول: هذه تُشبه رأسَ صوفيٍّ صار مَحوًا في الله، وتلاشى، ولم يبق له أُذُنٌ يسمع خطاب الله الأزلي، ولا عينٌ يرى الجمال الأزلي، ولا لسانٌ يُثني به على حضرةِ العزَّة، ولا عقلٌ يعلم ذرةً من المعرفة.

نقل أنه أرسل إليه ذو النون شخصًا من المُريدين برسالة، وهي أن يقول له: يا أبا يزيد، تنامُ جميعَ الليل في البادية وتستريحُ، وتشغل بالاستراحة[٣]، والقفل قد عَبر[٤]. فلمّا سمعَ الرسالة، قال: قل لذي النون: الرجل التامُّ من ينام جميعَ الليل، ثم قبل نزول القافلة يبلغُ المنزلَ. فلمّا ردَّ المُريدُ الجوابَ على ذي النون، فبكى وقال: بارك الله له في هذه الحال، فإنّا ما وصلنا إليها.

والمُرادُ بالبادية: الطريقة. وبالرواح: السلوك الباطن

نقل أنه سمعَ رجلاً قد اشتهر بالولاية، وكان رجلاً يقصدُهُ الناسُ، مشهورًا بالزهد، فمضى إليه أبو يزيد، فخرج الرجل من بيته، وقصد المسجد، ورمى

---

(١) في الترجمة العربية ٣٥٣: عمامة.
(٢) في (ب): الجمجمة ويقبلّها.
(٣) في (ب): وتشتغل بها.
(٤) أي: والقافلة قد عبرت.

بزاقةً تجاهَ القبلة، فانصرفَ أبو يزيد، ولم يُسلّم عليه، وقال: هذا غيرُ مأمونٍ على أدبٍ من آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأمونًا على ما يَدّعيه[1]؟

نقل أنه حمل زادَهُ في طريق الحجِّ على بعيرٍ، فقال شخص: سُبحان الله، بعيرٌ ضعيف، وحملٌ ثقيل، هذا ظلمٌ ظاهر، وقال مرات. فقال أبو يزيد: انظر. فلمّا نظرَ رأى الحملَ مرفوعًا عن ظهرِ البعير مقدارَ شبرٍ، والبعيرُ يمشي تحته خفيفَ الظهر، ثم قال: شأني عجيب، إن أفشيتُ حقيقةَ حالي فلا طاقةَ لكم بذلك، وإن أُخفيها تُطوِّلون ألسنتَكُم بالطعنِ فيَّ.

نقل أنه بعد زياة قبرِ النبيِّ ﷺ أُمر بزيارة أُمِّه، فتوجَّه إلى بِسطام في جماعةٍ، وسمع أهلُ بسطام أنّه جاء، فاستقبله خلقٌ كثيرٌ، وعلم أبو يزيد رضي الله عنه أنَّ مُراعاةَ الناس وملاقاتهم تمنعُهُ عن الحقِّ، فأخذَ رغيفًا، واشتغلَ بالأكل، وكان في رمضان، وقصدَ الرُّخصةَ بذلك، فأنكرَهُ الخلقُ وتركوه، فقال لأصحابه: رأيتم أنّي عملتُ بمسألةٍ من الفقه، فلذلك أنكرني الناس وردُّوني، اصطبرُ إلى الليل. فدخل المدينةَ ليلاً، وجاء إلى باب دار أمِّه، واسترقَّ السمعَ، فإذا أُمُّه تتوضَّأُ وتقول: إلهي، طيِّبْ حالَ غريبي، واحفظْهُ في غربته، وطيِّبْ عنه قلوبَ المشايخ. فغلب البكاءُ على أبي يزيد، ودقَّ الباب، فقالت أمُّه: من أنت؟ قال: غريبُكِ. فشهقت أمُّه شهقةً، وفتحتِ الباب، وقالت: يا طيفور، ضعفتْ باصرتي من كثرة البكاء في فراقك، وانحنى ظهري من كثرة البليّاتِ والأحزان؛ ولكنِ الحمدُ لله الذي رزقني وصالك.

نقل أنه قال: ما ظننتُ أنَّهُ بعد جميع الأعمال، فهو قد كان مقدّمًا عليه، وذلك رضا الوالدة، قال: حتى أنا ما كنتُ أطَلبُهُ في الرياضات والمجاهدات والغربة وجدتُهُ في أنَّ والدتي طلبَتْ منّي الماءَ في بعض الليالي، ذهبتُ إلى

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٠٥) في الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومسلم (٥٥١) في المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد، والنسائي ١/١٦٣، ٢/٥٢ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «إنّ أحدكم إذا قام في الصلاة فإنّما يناجي ربّه، فإن ربّه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قِبَلَ قبلته..».

الكوز، لم أجد فيه ماءً، ثم إلى الجرَّةِ كذلك، فذهبتُ إلى الساقية، وجئتُ بالماء، فإذا هي نائمة، فأخذتُ الكوزَ بيدي، ووقفتُ حتى استيقظَتْ، وكانت الليلةُ في غايةِ البرودة، وانجمدَ الكوزُ في يدي، فأخذتِ الماء، ودعتْ لي، ثم قالت: ردَّ أحدَ مصراعي الباب. كنتُ متردِّدًا إلى قريبٍ من الصباح أن أردَّ الطرفَ الأيسر أو الأيمن؛ لئلا أكونَ مُخالفًا لها، فلمّا أصبحت، ما كنتُ أَطلبُهُ مدَّةً طويلةً وجدتُهُ حاضرًا عندي ببركة مُوافقتها ودعائها.

نقل أنه لمّا رجعَ من سفرِ الحجاز، وبلغ مدينة هَمَذَان، اشترى هناك شيئًا من حبِّ العُصْفُرِ، وذهب بها إلى بِسطام، وجد فيه نملاً، فرجع إلى هَمَذَان، وردَّها إلى مكانها شفقةً على خلقِ الله تعالى.

نقل أنه قال: كنت اثنتي عشرة سنة حدَّادًا لنفسي، أحمِّيها من كُورة الرياضة بنارِ المجاهدة، وأحضُّها على المداومةِ، وأضربُ عليها بمطرقةِ الملامة، حتى صنعتُ من نفسي مرآةً، ثم صقلتها في خمس سنين بمصقلِ أنواع العبادات والطاعات، ثم نظرتُ فيها بنظرِ الاعتبار، رأيتُ على وسطي الزنار من العُجْب والغرور، والاعتماد على الطاعة والعمل، فاجتهدتُ خمس سنين أُخرى في قطع الزنار، حتى قطعتُ الزنار، وجدَّدت الإسلام، ثم رأيتُ الخلق كلَّهم موتى، فقلت: أُصلّي عليهم صلاة الأموات، وكبَّرتُ أربعَ تكبيرات لفنائهم، ثم بلا واسطةِ الخلق ولا مُزاحمة النفس؛ لكن بمددِ الحقِّ رجعتُ إليه، ووصلتُ إلى مقام القُرب.

نقل أنّه كلَّما أرادَ أن يدخلَ مسجدًا، كان يقفُ على باب المسجد، ويبكي، ثم يدخل، سُئل عنه عن هذه الحال، قال: أجدُ نفسي كامرأةٍ مُستحاضةٍ، أخافُ أن أُلوّثَ المسجد.

نقل أنه خرجَ بقصد الحجاز، ثم رجعَ، قيل له: ما فسختَ العزيمةَ قطُّ، كيف كان في هذه النوبة؟ قال: لمّا توجَّهتُ إلى الطريق، استقبلني زنجيٌّ بيده سيف، وقصدني، وقال: تركتَ الله ببسطام، وقصدتَ البيت الحرام، إن رجعتَ فيها، وإلاّ قطعتُ رقبتك، ثم استقبلني شخصٌ آخر، وقال: إلى أين؟

قلت: إلى مكّة شرّفها الله تعالى. قال: وما معك؟ قلت: مئتا دينار. قال: أعطني؛ فإنّي رجلٌ فقير ولي عيال، وطفْ حولي سبعَ مرات، فإنَّما هذا حجُّكَ. ففعلتُ، ورجعت[١].

نقل أنه صعدَ سطحَ رباطٍ ليذكر الله تعالى، فقام إلى جدارٍ إلى الصباح، وذكرَ الله تعالى، فرأوا في النهار بولَه، فإذا هو مثلُ الدم، قالوا: وما هذه الحالة؟ قال: لشيئين: الأول: أنه قد عبرَ على لساني كلمةٌ في الطفولة، والثاني: أنّ عظمةَ الله تعالى أظلّتني، وصار قلبي مُتحيِّرًا، فإن خطرَ قلبي ما ينطق لساني، وإن انطلقَ لساني كان قلبي غائبًا، كنتُ إلى الصباح في هذا الاضطراب.

قال عيسى البسطامي[٢]: صحبتُ أبا يزيد اثنتي عشر سنة، ما سمعتُ منه كلامًا؛ بل كان على عادته، أن يضعَ رأسَهُ على ركبته، وفي بعض الأحيان يرفعُ رأسَهُ ويتأوّه، ثم يرجُع إلى ما كان.

قال السَّهلكي[٣]: هذا إنما كان في حالة القبض، وأما في حالة البسط فاستفادَ الناس منه فوائدَ كثيرة.

نقل أنه كان في يده تفاحةٌ حمراء، فنظر إليها وقال: تفاحةٌ لطيفة. نُودي في سرِّه: يا أبا يزيد، ألا تَستحيي منّا، تضعُ اسمًا من أسمائنا على التفاح. وأنساه الله اسمَه أربعين يومًا ـ أي أخرج من قلبه حلاوةَ الذكر ـ فحلف أن لا يأكلَ من فواكه بِسطام مدّةَ حياته.

قال: خطر ببالي وقتًا من الأوقات أنّي اليومَ شيخُ الوقت، فعلمتُ أنّه وقعَ غلطٌ عظيم، وخطأ كبير، فقمتُ إلى طريق خراسان، ونزلتُ في منزلي،

---

(١) جاء في هامش (أ): مطلب شنيع. وانظر صفحة ٨٤١ بشأن الطواف، وطواف الكعبة بالمريد ٣٣٢ وصفحة ٩٨.

(٢) كذا الأصول، وعيسى أبو أبي يزيد، ولعل الخبر عن أحد أخوي يزيد: ادم أو علي ابني عيسى.

(٣) هو محمد بن علي بن أحمد السهلكي أبو الفضل شيخ محدث، انظر التدوين في أخبار قزوين ١/ ٤٠٨، ٣/ ١٤٧ ٤/ ٣٥٧، ومعجم البلدان (بسطام).

وحلفت أني لا أُفارقَ هذا المنزل حتى يجيء إليَّ شخصٌ، ويُريني نفسي وذلّي، فمكثتُ ثلاثةَ أيام، ثم في اليوم الرابع رأيتُ رجلاً أعور يجيءُ على راحلةٍ، فلمّا نظرتُ إليه، علمتُ أن فيه أثرَ العرفان، أشرتُ إلى بعيره بالوقوف، فخُسِفَتْ رجلاه في الأرض، ووقف البعير، قال: راكبٌ جئت بي لأفتحَ المُغلقَ، وأُغلقَ المفتوح، وأُغرقَ بسطام مع أهلها ومع أبي يزيد. قال أبو يزيد: غُشي عليَّ، ثم بعد الإفاقة قلتُ له: من أين تجيء؟ قال: من اليوم الذي حلفتَ أن لا تفارقَ هذا المكان ليرسلَ اللهُ تعالى إليك شخصًا يُريك نفسَك، أنا قطعتُ في الطريق ثلاثة آلاف فرسخ، ثم قال: يا أبا يزيد، عليك بحفظِ القلب. وأعرضَ عنّي، وغاب.

نقل أنه مدة أربعين سنة ميّزَ بين ثيابَ الصلاة، وثياب بيته، وثياب الوضوء.

وقال: إنّي ما أكلتُ أربعين سنة ممَّا يأكلُ الناس، فإنَّ قوته كان من موضعٍ آخر.

قال: أربعين سنة كنتُ جاسوسًا على القلب، ثم اطّلعتُ على أنّ العبودية منه كانت.

قال: كنت لله طالبًا ثلاثين سنةً، ثم وجدتُ أنّي مطلوبٌ، وهو طالب[1].

قال: منذ ثلاثين سنة كلّما أُريد أن أذكرَ الله تعالى أَغسلُ فمي ولساني ثلاثَ مرات تعظيمًا لله تعالى.

سأل منه أبو موسى[2]، وقال: سلكتَ هذا الطريق زمانًا، ماذا رأيت فيها؟ قال: أوّلُ الأمر كنتُ أجرُّ نفسي إلى بابه، وهي تبكي، فحين حصل لي مددٌ من الحقِّ، النفسُ تذهبُ إليه وتضحك.

قيل: وما رأيتَ في هذا الطريق أعجب؟ قال: إنه ما رجع منه أحد.

نقل أنه صارَ في آخر الأمرِ إلى حيثُ ما كان يخطرُ بباله، يظهرُ عنده في

---

(١) هذا القول ليس من (ب).

(٢) يقال: أبو موسى الديبلي من المشايخ المريدين لأبي يزيد. انظر الصفحة ٢٢٥.

الحال، وإذا أراد أن يذكر الله تعالى يتقاطرُ البولُ منه على صورة الدم.

نقل أنه كان مريدٌ صاحب كمال، سريع السلوك للشيخ أبي تراب النَّخْشَبي، وشيخُهُ كثيرًا ما كان يقول له: ينبغي لك، ولا بدَّ لك من صحبة أبي يزيد. حتى قال المريدُ يومًا: يا شيخ، من يرى كلَّ يومٍ كم مرّةٍ ربَّ أبي يزيد، ما يصنعُ بأبي يزيد؟ قال أبو تراب رحمه الله: أنت ترى الله تعالى على قدرِ حالك، وإذا كنتَ عند أبي يزيد تراه على قدر حالِ أبي يزيد، ففي الرؤيا تفاوتٌ باعتبار الحالين. أثّر هذا الكلام في قلب المريد، فهو مع الشيخ ذهبا إلى أبي يزيد، وكان في غيضةٍ، وبيده جرّةٌ، وعليه فروةٌ عتيقة، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ، فلمّا وقعَ نظرُ المريد عليه يبسَ ومات من زمانه، فقال أبو تراب: سبحان الله، نظرةٌ وموت! قال أبو يزيد: كان له قابليةٌ، ولم يكن وقتُ انكشاف ذلك الشيء، فلمّا نظرَ إلى أبي يزيد، انكشفَ له ذلك الأمر، وما أطاق، ولهذا مات في زمانه. نظيره ما وقع لنسوة مصر في مُشاهدة يوسف عليه السلام، حتى لم يطقنَ، وقطّعنَ أيديهن.

نقل أن يحيى بن معاذ كتب كتابًا إلى أبي يزيد بهذا البيت بالعجمية:

مَسْت أز مَي عشق أيحالم كه أكر أز إين بيش خورم عشق نيست شَوَمْ

قال أبو يزيد في جوابه قدّس الله سرّه:

شربتُ الحبَّ كأسًا بعد كاس فما نفدَ الشراب وما رويتُ[1]

نقل أن يحيى بن معاذ كتبَ كتابًا إلى أبي يزيد رضي الله عنه، وقال: ما تقولُ فيمن تجرَّعَ جرعةً، وسكر من الأزل إلى الأبد؟ فأجابَ أبو يزيد رحمه الله وقال: لا أعلمُ ذلك؛ ولكن هذا رجلٌ يتجرّعُ كلَّ يومٍ وليلة بحور الأزلِ والأبد، ثم يصيح: هل من مزيد[2].

---

(١) الخبر ليس في (ب).

(٢) جاء في هامش (أ) بخط مغاير: فقال رجلٌ هنا: من يتجرّعُ بحور الأزل، وله في كل نَفَسٍ من الأنفاس، ويقول: هل من مزيد؟.

ثم أرسلَ إليه يحيى، وقال: لي معك سرٌّ، ولكن موعدنا الجنة، تحت شجرة طوبى. وبعث له رغيفًا هديةً، وقال: عجنتُهُ بماء زمزم. فكتب أبو يزيد في الجواب، وأشار إلى السرِّ الذي كتمه يحيى، وقال: أيُّ موضع يكون هو مذكورًا فيه فهو الجنة[١]، وهناك فيءُ طوبى، وما أكل ذلك الرغيف، وقال: ذكرتَ الماء الذي خمّرتَ به، وما ذكرتَ من أيِّ بذرٍ حصّلته! فازداد اشتياق يحيى إليه، وقصده، وجاء إليه، فوصل عشاءً، وقال: لا أريدُ أن أشوّشَ عليه الليلة، وليس لي اصطبارٌ إلى الصباح، فسأل عنه، قالوا: هو في الصحراء. قال: ذهبتُ إليه، فإذا هو قد صلّى صلاة العشاء، وقام على أصبعين إلى الصباح[٢]، وأنا متعجّبٌ عن هذا الحال، وهو مشغولٌ بحاله إلى الصباح، فلمّا طلعَ الفجر، قال: اللهم، إنّي أعوذُ بك أن أسألك هذا المقام. قال يحيى: فتقدّمت إليه، وسلّمتُ عليه، وسألته عن وقائع الليلة، قال: عرض عليَّ نيفٌ وعشرون مقامًا وما قبلتها، وقلت: كلُّها حجاب، كان يحيى مبتدئًا وأبو يزيد منتهيًا. فقال له: يا شيخ، لولا سألتَ من الله تعالى المعرفة، وهو مالكُ الملوك، وقد قال: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؟ فشهق أبو يزيد وقال: اسكتْ يا شيخ؛ فإني يحصل لي غيرةٌ على أن أعرفه، وإني أُريدُ أن لا يعرفَهُ غيره، ثم قال أبو يزيد رضي الله عنه: لو رُزقتُ صفوة آدم، وقدس جبريل، وخلّةَ إبراهيم، وشوق موسى، وطهارة عيسى، ومحبّة محمد عليهم السلام عليك أن لا ترضى بها؛ فإنّ ما وراء ذلك منازلُ ومقاماتٌ، كنْ صاحبَ همّةٍ، ولا تغترَّ بمقامٍ من المقامات، فإنك لو قنعتَ بمقامٍ رضيتَ وسكنت فيه صرتَ محَجوبًا به[٣].

أقول: هذا الكلام إشارةٌ إلى أن مقاماتِ المعرفة لا نهايةَ لها، وليس للسالك أن يقنعَ بمقامٍ دون مقام، إذ ما من مقامٍ إلاّ وفوقه مقامٌ آخر، وبهذا يؤوّلُ ما وردَ

(١) في (أ): أي موضعٍ يكون هنا مذكورٌ فيه، فهو الجنة.

(٢) انظر الحاشية (١) صفحة ٧٥٧.

(٣) جاء في هامش (أ): نعوذ بالله تعالى من الاجتهاد، مثل هذه الأقوال السخيفة، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

عن النبيِّ ﷺ من كثرة الاستغفار، حيث قال: «إنّي لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[١].

قيل: سببُ كثرة استغفاره عليه السلام، وإن كان عليه مأمونًا من صدورِ الذنب عنه، ولا سيما حال الرسالة، أنه ﷺ كان يترقّى في كلِّ لحظةٍ إلى مقامٍ من مقامات الكمال لم يكن فيه قبله، فإذا وصلَ إليه عليه السلام كأنه كان يرى نفسَه مقصِّرًا في المقام الذي قبله، فلذا كان يستغفرُ اللهَ، ويتوبُ إليه، والدليل عليه ما روي عنه ﷺ أنه قال: «حسناتُ الأبرار سيئات المقربين»[٢] ويعلم من هذا أن سيره ﷺ في المقامات كان كثيرًا متواليًا غيرَ مُتناهٍ ولا مُنقطعٍ، وقيل في هذا المعنى بيتٌ بالعجمي وهو هذا:

روزي أكر بكويِ مرادي وسي عماد انجامقام نيست كذركُنْ نَه منزل است

واتفق لهذا الفقير ترجمتُهُ أوانَ النسخ وهي هذا:

فـإذا وصلـتَ إلـى مُـرادِكَ ليلـةً فـاعبـرْ فـذلـك مَعْبَـرٌ لا مَقصـدُ

والله أعلم.

نقل أن ذا النون أرسلَ[٣] إلى أبي يزيد مسندًا ليتّكىء عليه، وقال: الشيخُ قد ذاب جسمُهُ، ونحل بدنه. والحالُ أنه قد بقي عظمٌ عليه جلد، فلم يقبلْ، وقال مُتَكؤنا لطفُ الحقِّ وكرمه، فلا احتياجَ لنا إلى مُتَكأ المخلوق.

نقل أنه قال: كنتُ في صحراء ليلةً باردة، وأدخلتُ رأسي في جيبي متفكِّرًا، إذ حصل نعاسٌ، واتفق احتلامٌ، فتنبّهتُ، وكنت أجدُ في نفسي تكاسلاً، وحملتني على تأخير الاغتسال إلى طلوع الشمس، فلمّا ظهرتْ عليَّ فتنةُ النفس، قمتُ في الحال، وتوجّهتُ إلى الماء، وكسرتُ الجليد، ودخلتُ مع

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٨٢، ٣٤١، والبخاري في صحيحه (٦٣٠٧) في الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٤٣٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر الحاشية (١) صفحة (١٧٢).

(٣) في (أ): أوصل إلى أبي يزيد.

الخرقة في الماء، واغتسلتُ، وخرجتُ والخرقةُ عليَّ إلى أن غُشي عليَّ سبعين مرة، حتى نشفتِ الخرقة.

نقل أنه كان يدور في المقابر في بعض الليالي، فاتّفقَ في ليلةٍ أنِ التقى بابنٍ لبعض الأكابر، ومعه بَرْبَط[١]، وكان مشغولاً بضربه، فجرى على لسان أبي يزيد: لا حول ولا قوّة إلا بالله، وكان ذلك الشخص سكرانَ، وانغاظ عن هذا الكلام، وضربَ البَرْبَطَ على رأس الشيخ حتى انكسر رأسه، وما عرفه، فذهب الشيخُ إلى زاويتِهِ، واصطبر إلى الصباح، فدعا شخصًا من المُريدين، واستفسر قيمةَ بَرْبَطِه، وشدَّ من الدراهم مقدارَ قيمة البربطِ في منديل، وبعثه مع طبقٍ من الحلوى إلى صاحب البربط، واعتذرَ عنه، فقال: الدراهمُ ثمنُ بربطك الذي كسرته على رأسي، والحلوى عوضُ الغصّة التي حصلتْ لك أوانَ الضرب. فلمّا اطّلعَ ذلك الشخص على الحال، قام من زمانه، وجاء إلى الشيخ، واعتذر عنده، وتاب من المعاصي ببركة ذلك الخُلق الحسن الصادر عن أبي يزيد رحمه الله.

نقل أنه كان يمشي مع جماعةٍ من المُريدين في طريق ضيّقٍ، فاستقبله كلب، ولا بدّ إما من رجوع الشيخ أو الكلب، فرجع الشيخ، وتركَ الطريقَ للكلب، فدار في قلبِ بعض المُريدين شبهةُ إنكارٍ في ذلك وقال: ما معنى ذلك؟ مثلُ الشيخ وجماعة من المسلمين يَرجعون لأجل كلبٍ، ولقد قال الله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] فاطّلعَ الشيخ وقال: لمّا استقبلتُ الكلب، واستقبلني، قال الكلب: يا شيخ، وأيُّ شيءٍ سبقَ لي في الأزل حتى أُلبستُ جلدَ الكلب، وأنت صرتَ إنسانًا مشهورًا في الدنيا سلطان العارفين؟! فرجعت لذلك.

نقل أنه التقى بكلبٍ، فشمَّرَ عنه أذيالَهُ، فقال الكلب بلسان الحال[٢]: يا شيخ، إن تلوّث ذيلُك بمثلي يتنظّفُ بغسله سبعَ مرات، وإن تلوّثْتَ بنفسك

---

(١) البَرْبَط: من آلات الطرب، يشبه العود. فارسي، معرب بربت. متن اللغة.

(٢) في (أ): بلسان فصيح.

لا تطهر بسبعين بحرًا. فقال الشيخ: أنت نجسُ الظاهر طاهرُ الباطن، وأنا طاهرُ الظاهر نجسُ الباطن. فسنترافقُ مدّةً من الزمان، ونرى من يطهرُ منّا. فقال الكلب: أنت لا تليقُ بمرافقتي ومصاحبتي، لأنّي ردٌّ للخلق ـ أي مردود عندهم ـ وأنت مقبولٌ عندهم، ومن التقاني يَضربني بالحجر، ومنِ التقاك يقول: السلامُ عليك يا سُلطان العارفين، وأنت قد حويْتَ دنًّا من الحنطة، وأنا لا أتركُ عظمًا للغد. فقلتُ: إذا ما كنتُ لائقًا بمرافقة كلبٍ، فكيف أليقُ بمصاحبة أرواح القُدْسِ، وقرب حضرة ربِّ العزة؟ قال: فاستولى عليَّ قبضٌ، وصرت خائبًا من طاعتي، قلت: أدخلُ السوق، وأشتري باللحم[1] زنارًا، وأشدُّ في وسطي لينقطع عن الإسلام عاري وشناري. فدخلتُ السوق، ورأيتُ زنَّارًا مُعلّقًا، فقلت: بكم؟ والحالُ أنَّ قيمةَ مثلِه درهمٌ أو أكثر، فقال: هذا بألف دينار. فأطرقتُ رأسي، فسمعتُ هاتفًا يقول: أما علمتَ يا أبا يزيد أنَّ الزنَّار الذي أنتَ تشدُّ في وسطك قيمتُهُ ألف دينار، بل أكثر؟ فطاب قلبي، وعلمت أن لله عليَّ نظرًا بعدُ.

نقل أنه جاء إلى أبي يزيد أحمد بن الخضرويه في ألف مُريدٍ له رحمهم الله، وكلُّهم كانوا يمشون على الماء، وبيد كلِّ واحدٍ منهم عصًا، ولمّا دخلَ عليه أحمد بن خضرويه، قال للمُريدين: من ليس له أهليةُ صحبةِ أبي يزيد لا يدخل. فدخلَ الكلُّ معه، ووضعوا عصيَّهم في بيتٍ، فامتلأ منها، وسُمّي بيت العصي إلاّ شخصًا واحدًا، فإنّه لم يدخل، ووقف على الباب، وقال: لا أجد في نفسي قابليةً لهذه الصحبة. فلمّا اطمأنَّ بهم المجلسُ، قال أبو يزيد لأحمد رحمهما الله: لِمَ أخلفتم على الباب مَنْ هو أفضل منكم؟ فأدخِلوه. فأدخلوا ذلك أيضًا، وقال أبو يزيد لأحمد رحمهما الله: إلى متى تسيحُ في الأرض؟ قال أحمد رضي الله عنه: لأنَّ الماءَ من طول المكثِ يتغيّر. قال أبو يزيد رحمه الله: كن بحرًا لئلاّ تتغيرَ، وشرع في الكلام، وقال أحمد: تنزَّلْ

(١) قوله: باللحم ليست في (أ).

عن هذا المقام؛ فإني لا أفهمُ الكلامَ. فتنزّلَ الشيخُ عن ذلك المقام، ثم قال له أحمد: يا شيخ، تنزَّلْ عن هذا أيضًا، إلى سبع مرات، حتى فهمَ كلامَه، فلمّا أتمَّ الكلام، قال أحمد: يا شيخ، رأيتَ إبليسَ معلّقًا على الباب؟ قال أبو يزيد: نعم، كان بيننا وبينه عهدٌ ألاّ يدخلَ بِسطامَ، ثم اتّفقَ له أَنْ وسوسَ شيخًا[١]، حتى وقعَ في معصيةٍ، لذلك علّقَ.

سأل شخصٌ عن أبي يزيد، وقال: نرى في بعض الأيام طائفةً عندك على صورة الرجال ولا نعرفهم. قال الشيخ: هم من الملائكة، يَحضرون مجلسنا، ويسألون عنّي ما يحتاجون إليه من العلوم، وأنا أُجيبُهم بتوفيق الله تعالى.

نقل أنه رأى ليلةً في المنام أن ملائكةَ سماءِ الدنيا نزلوا إليه، وقالوا له: تعالَ نذكر الله تعالى. قال أبو يزيد: ليس لي لسانُ ذكر الله تعالى. ثم جاء إليه ملائكةُ السماء الثانية، قالوا كذلك، وأجابهم بمثل ما أجابهم، وكذلك ملائكة السماء الثالثة، والرابعة إلى السابعة، وهو كان يقول كذلك، إلى أن قال له أهلُ السماء السابعة: ومتى يكونُ لك لسانٌ تذكر الله تعالى به؟ قال: إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النار النار، وثم يدور أبو يزيد حول العرش، ويقول: الله الله.

نقل أنه ما كانَ يجدُ ليلةً ذوق العبادة، قال لأصحابه: انظروا في البيت، هل تجدون فيه لهذا سببًا؟ تفحّصوا، فإذا في البيت نصفُ عنقودٍ من العنب، قال: هذا هو الذي صار سببًا، ثم قال: أخرجوه، وأعطوه شخصًا؛ فإنَّ بيتنا ليس حانوت البقالين. ففعلوا ذلك، ثم حصل للشيخ ذوقُ العبادة.

نقل أنه كان له جارٌ مُشركٌ، وكان لذلك الجارِ طفلٌ، فبكى في بعض الليالي، فلم يكن لهم سراجٌ يستضيئُون بضوئه، فقام الشيخ، وأخذ السراجَ بيده، ودخل بيت المشرك، ولمّا رأى الطفلُ ضوءَ السراج سكنَ بكاؤه، وقال المشرك: أليس حيفٌ علينا أن نبقى على ظلمتنا بعدما جاء إلينا أبو يزيد بالضوء. فآمن، وآمن معه أهلُه كلُّهم ببركة قدم أبي يزيد[٢] رحمه الله وأعماله.

---

(١) في (أ): أن وسوس شخصًا.

(٢) كذا الأصل، ولعلها: ببركة قدوم.

نقل أنه كان مشركٌ في عهد أبي يزيد، فقيل له: لِمَ لا تؤمن؟ فقال: كيف أؤمن، وأنا لا أقدر على مثل إيمان أبي يزيد وأعماله، ولا أرضى بإيمانكم وأعمالكم.

نقل أنه كان يومًا جالسًا في المسجد، قام وقال لأصحابه: قوموا نستقبل وليًّا من أولياء الله تعالى. فلمّا خرجوا من باب المدينة التقوا بإبراهيم الهروي راكبًا على حمارٍ يأتي، قال أبو يزيد: نُوديَ في سرِّي من الحق: أنْ يا أبا يزيد قم استقبالاً له، واستشفعْ به عندنا. فقال إبراهيم: لو فُوّضَ إليك أن تشفعَ للخلقِ الأولين والآخرين، لكان شفاعتُكَ في حفنةِ ترابٍ. فتعجّب أبو يزيد من هذا الكلام، وذهب به إلى بيته، وقدّم إليه طعامًا لذيذًا، فلمّا رآه إبراهيمُ، قال في نفسه: كيف يكون شيخًا من يأكل من مثل هذا الطعام؟ وأبو يزيد رحمه الله علمَ ما أضمرَهُ إبراهيمُ بالمكاشفة، وأمسك بيده بعد فراغهم من الأكل، وذهب به إلى ناحيةٍ خلف حائطٍ، وضربَ يدَهُ على الحائط، فانفتحَتْ كُوّةٌ، فظهر فيها بحرٌ لا ساحل له، وقال: يا إبراهيم، تعالَ ندخل هذا البحر. ففزعَ إبراهيم، وقال: ليس لي هذا المقام. ثم قال له أبو يزيد: الشعيرُ الذي أخذتَهُ من الصحراء، وخبزته، وأدخلته في الجراب شعيرٌ أكلَتْهُ الدواب، وخرج مع زبلهم، وكان نجسًا، والحقُّ ما قال أبو يزيد إذ حالُ الشعير كان كما قال، وعلم إبراهيمُ أنّه أخطأ في اعتراضه على أبي يزيد فيما قدّم إليه من الطعام، وتاب عن ذلك، ورجع واستغفر.

قال شخص من المُريدين: كنتُ مع الشيخ في طبرستان، وشيّعنا جنازةً، فرأيتُ الشيخَ يمشي مع الخضر عليه السلام، واضعًا يده على كتف الخضر، والخضرُ عليه السلام كذلك، ولمّا رجعَ الناسُ من المقبرة، رأيتُ الشيخ يمشي في الهواء.

نقل أنه جاء إليه جماعةٌ، واشتكوا عنده من القحط، وعدم مجيء المطر، فأدخل رأسَه في جيبه، ثم أَخرجَ، وقال: سوُّوا ميازيبَكم، إذ جاء المطر. ففي الحال ظهرَ غيمٌ، وجاءَ مطرٌ أيامًا ولياليَ.

نقل أنه في بعض الأيام مدَّ رجلَه، وكان عنده رجلٌ، هو أيضًا مدّ رجلَه، فجرَّ الشيخُ رجلَه إليه، وقال للرجلِ: مدَّ إليك[١] رجلَك. فما أطاق الرجلُ، وبقيت رجله كذلك ممتدَّةً إلى آخر عمره.

نقل أنه مدَّ رجله وقتًا، عبر هناك شخصٌ، وداسَ رجلَه، فقيل له في ذلك، فقال: ما صار هو رجل، علّقتم عليه طاماتٍ. فما مضى عليه زمانٌ إلاّ ابتُلي في رجله بالأكلة، وما انقطعت الأكَلةُ من نسله وذرّيته إلى كم بطن.

نقل أنه جاء إليه شخصٌ للامتحانِ من بعيد، وسأل منه مسألةً في الطريقةِ، وقال: هذه المسألة مخفيةٌ، على أنّي أُريدُ أن تكشفَها عليَّ. وعلم الشيخُ عُجبَهُ وإنكاره وامتحانه، وأمره أن يذهب إلى جبلٍ هناك، وفيه مغارةٌ وسرداب، قال: فيها صديقٌ من أصدقائنا، اسألْ هذه المسألةَ منه يكشفْها لك. فذهب الرجلُ إلى المغارة ودخل فيها، ونزلَ، فما رأى أحدًا، وكانتِ المغارة مظلمةً، وهو فيها إذ تحرَّكتْ أرضُ المغارة، وطلع ثعبان كلٌّ من عينيه كأنَّها طاسٌ مملوء من الدم، فغلب عليه الرُّعبُ والخوف، وخرجَ منها هاربًا، وترك أحدَ نعليه في المغارة، ولم يستجرِ أن يرجعَ ويأخذ، وجاء إلى الشيخِ بنعلٍ واحد، وتابَ على يده، ورجع عن الإنكار، فقال الشيخ: سبحان الله، ما قدرتَ من هيبة مخلوقٍ أن ترجعَ وتأخذ الكفش[٢] ـ أي المشائي ـ، فكيف تقدر مع عبيد الخالق على الكشف، والله أعلم.

نقل أن الشيخ سعيدَ المَنْجوراني[٣] زار أبا يزيد رضي الله عنهما، وأراد أن يمتحنه، فأشار الشيخ أبو يزيد إلى مُريدٍ له كان راعيًا للغنم، فذهبَ سعيد إلى ذلك المُريد، فصادفه وهو في الصلاة، والغنمُ ترعى، وهناك جماعةٌ من الذئاب تحومُ حول الغنم، ولا يقرب إليها واحدٌ، فلمّا فرغَ من الصلاة، وسلم عليه

---

(١) في (أ): جرَّ إليك.

(٢) الكفش: في اللغة الفارسية: الحذاء. المعجم الذهبي.

(٣) المنجوراني. منسوب لقرية مَنْجوران من قرى بلخ. الأنساب ١١/ ٤٩٣.

سعيد، قال له الراعي: ماذا تشتهي؟ قال: الخبز الحارّ، والعنب. وكان بيده قضيبٌ، فكسره نصفين، وغرز أحدَ الشقّين عنده، والشقَّ الآخر عند سعيد، فصار في الحال شجرتان[1] للكرم، وأثمرتِ التي عند الراعي عنبًا أبيضَ، والتي عند سعيد عنبًا أسود، فقال سعيد: لِمَ صارَ ما عندي أسودَ، وما عندك أبيض؟ قال الراعي: لأنّي سألتُ على يقينٍ، وأنت سألتَ على طريق الامتحان، فصارَ مقصودُ كلٍّ لائقًا بحاله. فحين أرادَ سعيدٌ الرجوع، أعطاه الراعي كساءً، وقال: احفظْه لئلا يضيع. ثم بعد مدّةً قصدَ سعيدٌ زيارةَ الكعبة المعظّمة، فضاعَ الكساءُ عنه في عرفات، فاتّفقَ أنه جاءَ إلى بِسطام، وذهب إلى الراعي، فوجد الكساء عنده.

نقل أنه قيل لأبي يزيد: من شيخُك ومرشدك؟ قال: امرأةٌ عجوزة. قيل: كيف ذلك؟ قال: خرجتُ من البيت يومًا في غلبات الوجد والشوق، ودخلت الصحراء، فإذا أنا بعجوزة معها جرابٌ فيه دقيق، وأمرتني بحمل الجراب، وكنتُ في حالةٍ لم تكن لي قدرةٌ على ذلك، فأشرتُ إلى أسدٍ، فحملَ جرابَها، ووصَّيْتُها أن لا تخبرَ عن الحالِ في المدينة، ولا تقولَ مَنْ رأتْ، وكنتُ لا أُريدُ أن يَعرفني أحدٌ. فقالت العجوزة: وماذا تقول! فإني قد رأيتُ ظالمًا معجبًا. فقال الشيخ: وما هذا الكلام؟ قالت العجوزة: هل هذا السبعُ مُكلّفٌ؟ قال: لا. قالت: فإن الله تعالى رفع عنه التكليف والتحميل، وأنت حمّلته، أفلا تكون ظالمًا؟! قال الشيخ: بلى. قالت العجوزة: ومع هذا تُريدُ وتشتهي أن يعلمَكَ أهلُ المدينة، ويطّلعون على أنَّ الأسد في طوعك ورضاك، وأنت صاحبُ كرامات، أفلا يكون هذا عُجْبًا؟ قال الشيخ: بلى. ورجع عمّا كان عليه، ورأى نفسَهُ مُنَزّلةً من الأعلى إلى الأسفل، قال: وصرت بحيث إذا كان تظهرُ عليَّ كرامات، كنتُ أرجو من الله تعالى أن يكشف عليَّ تصديقَ ذلك، فكان يظهرُ نورٌ عليه، مكتوبٌ بخطٍّ أخضر: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، نوحٌ نَجيُّ الله، إبراهيمُ خليل الله، موسى كليمُ الله، عيسى روح الله، فكنتُ أعلمُ

(١) كذا الأصلين.

بشهادة الشهود الخمسة صدقَ ذلك، حتى بلغتُ إلى مقامٍ لا أحتاجُ إلى الشاهد.

أيضًا قال أحمد بن الخضرويه رحمه الله: رأيتُ الله في المنام، فقال: الناسُ كلُّهم يطلبون منّي إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

نقل أنه كان شقيقُ البلخي، وأبو تراب النَّخْشبي عند أبي يزيد رحمهم الله، وحضر طعامٌ، فشرعوا يأكلونَ، وكان للشيخ مريدٌ وهو قائم بين يديهم للخدمة، فقال له أبو تراب: اجلسْ وكُلْ معنا. قال أنا صائم. فقال أبو تراب: كُلْ معنا وخذ أجرَ شهر. قال: لا أُفطر. قال شقيق[١]: افطر معنا ولك أجرُ سنةٍ. فامتنعَ المريد، ولم يفطر، فقال أبو يزيد: اتركوا من هو مطرودٌ ومردودٌ. قيل: فما مضى عليه قليلٌ إلاّ اتُّهم بسرقةٍ، وقطعت يداه كلتاهما[٢]

نقل أنه كان يومًا في مسجدٍ، وعصاه موضوعةٌ في جنب عصا شيخٍ، فوقعتْ عصاه على عصا الشيخ، ووقعتا جميعًا على الأرض، فانحنى الشيخُ صاحبُ العصا وأخذَ عصاه، ثم لمّا خرجا من الجامع ذهبَ أبو يزيد رحمه الله إلى صاحبِ العصا، واستحلَّ منه واعتذر، وقال: تعبتَ في الانحناءِ لأجل أخذِ العصا.

ونقل أنه قال: وصلتُ إلى دجلةَ يومًا، وأردتُ العبورَ عليها، فإذِ التأمَتْ حافتا دجلة لأعبر، فقلت: أنا لا أغترُّ بذلك، فإنَّ الناسَ يعبرون على دجلة بنصفِ درهم، فإنّي لا أضيع عمري وحاصلَهُ لأجل نصف درهم؛ فإني أريد الكريمَ لا الكرامة.

نقل أنه قال: عزمت على أن أسألَ الله تعالى أن يكفيني مؤنةَ الطعام والنساء، ثم لمَّا تأمّلتُ في ذلك رأيتُ أن رسولَ الله ﷺ ما سأل من الله ذلك،

---

(١) في الأصلين: قال أبو تراب. والمثبت من. الخبر نفسه، والترجمة العربية ٣٧١.

(٢) في الحدود من كتب الفقه لا تقطع يدا السارق.

فأحجمتُ، وتركتُ السؤال حتى أن الله تعالى كفاني مؤنتهما إلى أنّي لو رأيتُ امرأةً وحجرًا[١] لكانا عندي سواء

نقل أنه صلّى خلفَ شخص وقتًا، فلمّا قضى الإمامُ صلاته نظر أبا يزيد مُصلّيًا خلفه، فجاء إليه وقال: يا شيخ، أعلمُ أن لا كسبَ لك ولا مال، فأخبرني من أين تأكل؟ قال الشيخ: توقّفْ إلى أن أَقضي الصلاةَ التي صلَّيتها خلفَكَ. قال الإمام: ولِمَ يا شيخ؟ قال: لأنَّه لا يجوزُ الصلاة خلفَ من لا يرى الرزقَ من الله تعالى، ولا يعلم أنّه ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

قال: يزورني شخصان، يصيرُ أحدُهما ملعونًا، والآخرُ مرحومًا. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنه يجيءُ إليَّ شخصٌ، وربّما أكون في تلك الحالة مُستغرقًا في بحر الفكرةِ والمكاشفة، فيراني كالمجنون الزائل العقل، فيُفارقُني، ويغتابُني، ويستحقُّ اللعنَ بذلك، ويجيءُ إليَّ الآخرُ، ويستفيد منّي في تلك الحالة، ويكونُ ذلك سببًا لاستجلاب الرحمة.

قال حاتم الأصم لأبي يزيد: سمعتُ أنَّك قلتَ لجماعة تلاميذك: يشفع كلٌّ منكم يومَ القيامة لواحدٍ من أهل النار ليدخلَ الجنَّة، ويدخل هو مكانه النار، وإلاّ فأنا بريءٌ منه؟ قال: نعم، والآن أقول كذلك. قال حاتم: إذا كنتَ في هذه الحالة، فلِمَ لا تدعو الناسَ إلى الحقِّ؟ قال: لأنّي لا أقدرُ أن أحلَّ عقدًا عقده الله تعالى.

نقل أنه سمع خطيبًا يقرأُ قولَه تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] جرى الدمُ مكانَ الدمع من عينيه، واضطرب، وضربَ نفسَه على الأرض إلى أن زال عقلُه، ووقع مغشيًّا عليه.

نقل أنه رآه خادمٌ له في بعض الأيام يرجفُ، قال: لِمَ ترجف يا شيخ؟ قال: لا بدّ من سلوك طريق الصدق ثلاثين سنة، ثم كنسِ المزابل بالوجه، ووضعِ

---

(١) في (أ): امرأة أو رجلاً.

الجبهة على ركبةِ الأحزان والغموم، حتى يعلمَ سببَ تحرّك الرجال، وتحصيل الوقوف على أحوالهم.

نقل أن عسكرَ الإسلام صار ضعيفًا، وكاد ينهزمُ، فصاح بعضُهم وقال: يا أبا يزيد، أدركْنا. فظهرتْ في الحالِ نارٌ من جانب خراسان، وانهزم عسكرُ الكفار، وانتصر أهل الإسلام

نقل أنه قال: من لم يقرأ القرآنَ، ولم يشيّع جنازةَ المسلمين حسبَ الطاقة، ولم يعدِ المرضى، ولم يشفقْ على اليتامى، ثم يدّعي هذا الحديث، فاعلمْ أنّه مدّعٍ كذّاب.

قال شخص: اصف قلبَك، لأقولَ لك شيئًا، وأكلّمك كلامًا. قال أبو يزيد: منذ ثلاثين سنة أَسألُ اللهَ تعالى أن يَرزقني قلبًا صافيًا، ولم أجدْه بعدُ، فكيفَ يصيرُ صافيًا في هذه الساعة؟!

أقول: الظاهرُ أنَّ مرادَه رحمه الله صفاءَ القلب عمّا سوى الله تعالى، لا عنِ الوسواس والكدورات، والله أعلم.

نقل أنه قال: يظنُّ الناسُ أن الطريقَ إلى الله تعالى سهلٌ مُضيء، وأنا سنين سألتُ اللهَ تعالى ليهوّنَ عليَّ هذا الطريق قدر سَمِّ إبرة، ويفتح عليَّ منه شيئًا يسيرًا.

نقل أنه إذا لم يصل إليه في بعضِ الأيام بلاءٌ، كان يقول: إلهي، رزقتني الخبزَ، فارزقني الإدام ـ يعني بلاء.

نقل أنه قال: نُودي في سرّي: يا أبا يزيد، خزائنُنا مملوءةٌ من الطاعات المقبولة، والعباداتِ المحمودة، فإنْ كنتَ طالبًا لنا فاعملْ عملاً لا يكون عندنا، ولا يكون لنا. فقلت: وما ذلك يا رب؟ فقال: العجز والاضطرار، والضراعة والانكسار.

قال: متى ما يجيء إليَّ مُريدٌ، فلا بدَّ وأن أتنزَّلَ له من مقامي لإرشاده.

نقل أنه إذا تكلّم في صفات الله تعالى كان ساكنًا مُطمئنًّا، وإذا تكلّمَ في ذات الله تعالى تحرّك واضطرب.

قال بحضرته شخصٌ: العجبُ ممّن[1] يعرفُ اللهَ تعالى كيف يعصي!؟ فقال أبو يزيد: العجبُ ممّن يعرفُهُ ويطيعُهُ. يعني إذا عرفَه، وغرقَ في بحار معرفته، تحيَّرَ ودهش، ولا يبقى له عقلٌ ولا شعور، ولا رسمٌ ولا أثر، فكيف يطيعه، وذلك مثلُ تَحيُّرِ نسوةِ مصرَ في جمالِ يوسف عليه السلام، حتى قطّعن أيديهن، ولم يشعرن.

نقل أنه قال: ذهبتُ إلى الكعبة حرسها اللهُ تعالى أوّلَ مرةٍ، فرأيتُ البيتَ، ثم ذهبتُ ثانيًا فرأيت البيتَ وصاحبَهُ، وثالثًا رأيتُ صاحبَ البيت.

أقول: يعني أنّ الله تعالى قد تجلّى له في المرة الثالثة تجلّيًا اضمحلَّ في ذلك التجلّي البيتُ وغيرُه، وصرتُ ملتذًّا محفوظًا من ذلك التجلّي، ولم يبق لي التفاتٌ إلى البيت، ولا شكَّ أنَّ هذا مقامُ الخواصِّ الذين غرضُهم ومقصودُهم من قطعِ البوادي والفيافي ليس إلاّ الكشف والمُكاشفة والمُشاهدة في الكعبة المعظّمة، لا مجرَّد زيارة البيت، فإنه يقنع به العوامُ الذين لا معرفةَ لهم سوى ذلك، والله أعلم.

قيل: جاء إليه شخصٌ يطلبه، فقال أبو يزيد رضي الله: وأنا أيضًا أطلب أبا يزيد عنه منذ ثلاثين سنة ولا أجده.

قيل له: أخبرنا عن مجاهداتك. قال: أمّا المُجاهدةُ الكبرى فلا تطيقون استماعها، وأمّا من الصغار فإنّي أَمرتُ نفسي شغلاً، فما وافقتني، فمنعتها الماءَ سنةً كاملة.

وقيل: كان استغراقه إلى حدٍّ كان له خادمٌ يخدمه، وقد صاحبه عشرين سنةً وما فارقه قطُّ، وكلّما يراه كان يسألُهُ اسمَهُ، فقال له الخادم في بعض الأيام: يا شيخ، أتستهزىء بي، فإنّي ملازمُكَ مدّةً كثيرةً، وأنت كلَّ يومٍ تقولُ:

---

(١) في (ب): أتعجّبُ ممن.

ما اسمُكَ؟ قال: لا أستهزىء، ولكن جاء اسمُهُ ومحا جميعَ الأسماء عن لوح قلبي، فإني أحفظُ اسمك، لكن أنساه.

نقل أنه قيل له: بم وصلتَ إلى هذا المقام، وأدركت المرام؟ قال: خرجتُ إذ كنت صبيًّا في بعض الليالي المُقمرةِ إلى الصحراء، ورأيت العالمَ قد سكنَ واطمأنَّ، ونظرتُ إلى باب عظمة الله تعالى ورحمته، فإذا هو مفتوحٌ، ووجدت عظمةً رأيت ثمانية عشر ألف عالم في جنبها أقلَّ من ذرّةٍ، فحصلَ لي حالٌ، وغلبَ عليَّ وجدٌ، قلتُ: إلهي، بابٌ بمثلِ هذه العظمة ويكون خاليًا! ومنزلةٌ على هذا الارتفاع والتعالي ويكون مخفيًّا! فصاحَ هاتفٌ وقال: ليس الخلوُّ لأنه لا يتوجَّهُ إلينا أحدٌ؛ ولكن لأنَّا لا نرضى إلاّ بمن يليقُ ببابنا، وليس كلُّ أحدٍ يليقُ به. قال أبو يزيد: خطرَ ببالي أن أسألَ جميع الخلق؛ لأنّي ما رأيتُهم في جنب تلك العظمةِ مقدار ذرةٍ؛ لكن قلت: هذا المقامُ إنّما هو لمحمدٍ المصطفى عليه السلام فراعيتُ الأدب، فسمعتُ خطابًا مضمونة: يا أبا يزيد، برعايتك هذا الأدب رفعنا ذكرك، ولذا تُسمّى وتُدعى إلى يوم القيامة سلطان العارفين. وحُكيتْ هذه الحكاية في مجلسِ الإمام أبي نصر القشيري رضي الله عنه قال: بهذه الهمَّةِ نال أبو يزيد ما نال.

حُكى أنّه كان يُصلّي ليلةً صلاةَ العشاء، وكلّما كان يُصلّي أربعَ ركعات يستأنفُ أربعًا أُخرى، ويقول: إلهي، هذه إنّما تليقُ بأبي يزيد لا بجنابك، إلى أن طلعَ الفجر، وما صلّى الوتر بَعْدُ، ثم قال: إلهي، التاركون للصلاة كثيرٌ، فعدَّ أبا يزيد منهم؛ فإني اجتهدتُ أنْ أُصلّي صلاةً لائقةً بك وما قدرت عليها؛ بل صلّيتُ صلاةً لائقةً بي.

نقل أنه قال: بعد الرياضةِ والمُجاهدة أربعين سنةً رُفعَ الحجاب، وحصلَ لي مقامُ الكشف والشهود، فشرعتُ في التضرُّع، وطلبتُ مقام القُرب، وَرَدَ خطابٌ، وقيل: يا أبا يزيد، لك كوزٌ وفروة عتيقة، ومع ذلك ترجو مقام القرب؟! فطرحتُ الكوزَ، ورميت الفروةَ، فنُوديت: يا أبا يزيد، قل لجماعةِ المُدّعين: إنّ أبا يزيد مع كثرةِ رياضته ومجاهداته لم يحصلْ له مقامُ القرب

بسبب أن كان له كوزٌ وفروة، فتركَهُما، ثم وصلَ إلى القُرب المقصود، فكيف يكون حالُكم مع كثرةِ خلافكم ودعواكم، وجعلكم الطريقةَ شِركًا للهوى؟ فحاشا أن يكونَ لكم وصولٌ إليه.

نقل أنَّ شخصًا كان ينتظر أبا يزيد في ليلةٍ إلى الصباح؛ لينظرَ ماذا يفعل، ففي السحر، قال مرَّةً: الله. وسقط مَغشيًّا عليه، وجرى الدمُ عنه، بعد ذلك قال: قيل لي: مَنْ أنتَ حتى تُجريَ حديثَنا على لسانك؟

أقول: وقد أُنشدَ في هذا المعنى بيتان، وهما هذان[١]:

ما إن ذكرتُكَ إلاّ همَّ يَلعنُني ... قلبي وسرّي وروحي عند ذكراكا
كأنَّ ثمَّ رقيبًا منك يَهتفُ بي ... إيّاك ويحك والتذكارَ إيّاكا[٢]

والله أعلم.

نقل أنه رحمه الله كان في ليلةٍ من الليالي قائمًا على رُؤوس أصابع الرجلين من أوّلِ الليلة إلى آخرها[٣]، والدمعُ يسيلُ على الأرض، وشخصٌ من المُريدين مُطّلعٌ عليه، وكان يترقَّبُهُ إلى الصباح متعجّبًا من حاله، متحيِّرًا في شأنه، فلمّا أصبحَ قال الخادم: يا شيخُ، وجدتُكَ البارحة غريقًا في بحر الوجد، وأُريدُ نصيبًا من ذلك. فقال أبو يزيد: في أوّلِ قدمٍ خطوتُ وصلتُ إلى العرش، فقلتُ: يا عرش، أخبرني، فإنَّ الله تعالى قد أخبر منك حيث قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال العرش: يا أبا يزيد، أنت حدِّثني؛ فإنَّ الله تعالى قال: «أنا عند المُنكسرةِ قلوبُهم، والمندرسةِ قبورُهم»[٤]. ثم قال أبو يزيد:

---

(١) ذكرهما القشيري في رسالته ٣٣٤ (باب الذكر) من غير عزو.

(٢) في الرسالة: إلاّ هم يزجرني... حتى كأن رقيبًا.

(٣) انظر الحاشية (١) صفحة ٧٥٧.

(٤) قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٣٤ (٦١٤) تحت قول: «أنا عند المُنكسرةِ قلوبُهم من أجلي»: قال في المقاصد: ذكره في البداية للغزالي، وقال القاري عقبه: ولا يخفى أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية. قلت: وتمامه: «أنا عند المُنكسرةِ قلوبُهم من أجلي» ولا أصل لهما في المرفوع. اهـ. وفي الحلية ٤/ ٣٢: قال داود عليه السلام: إلهي، أين أجدك إذا=

سبحان الله، أهلُ السموات يطلبونَ ويَسألون من أهل الأرض! وأهلُ الأرض من أهل السماء! والشبانُ من الشيوخ! والشيوخُ من الشبان! ثم قال: وصلتُ إلى مقامِ القُرب والشُّهود، فخُوطبتُ: سلْ. فقلتُ: ليس لي سؤالٌ ولا إرادة. ثم قيل لي: سل. قلتُ: لا أَسألُ إلاّ إيَّاك. قيل: ما دامَتْ ذرةٌ من وجودك باقيةٌ، هذا السؤال منك مُحال، دعْ نفسَكَ وتعال. قلت: لا أرجعُ عن هذه الحضرة بغيرِ نصيبٍ للأصحاب والإخوان.

أقول: ويُناسبُ المقام ما أُنشد:

شربتُ شرابًا طيِّبًا عند طيِّبٍ كذاك شرابُ الطيِّبينَ يَطيبُ
شربنا وأَهرقنا على الأرضِ كاسَنا وللأرضِ من كأسِ الكرامِ نَصيبُ

والله أعلم.

فقيل: وما مطلوبُك ومرادُك؟ قلتُ: أن ترحمَ على جميع الخلائق من عبادك المؤمنين. قيل: انظر إلى وراءَك. فنظرتُ، فما رأيتُ أحدًا من المسلمين إلاّ وله شفيعٌ، ورأيتُ اللهَ تبارك وتعالى أرحمَ وأرأفَ وأشفقَ عليهم منّي، فسكتُّ حينئذٍ، قلت: يا ربّ، ارحمْ إبليس. قيل: تهجّمْتَ، هو في النار، وتليق به النار، أنت اجتهدْ لئلا تصيرَ لائقًا بالنار.

نقل أنّه قال: إنَّ الله تعالى عرضَ عليَّ ألفَ مقامٍ، وفي كلِّ مقامٍ عرضَ عليَّ مملكةً، وأنا ما قبلتُ شيئًا من ذلك، ثم قيل لي: وما مُرادُك ومطلوبُك؟ قلتُ: مُرادي أن لا يكون فيَّ مراد[1].

نقل أنه كان إذا التُمِسَ منه دعاءٌ، يقول: إلهي، أنت خالقٌ له، وهو مخلوقٌ وعبدٌ لك، فمن أنا لأكونَ واسطةً بين السيِّد وعبدِهِ؟ قال: لأنّه تعالى عليمٌ،

= طلبتك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي، وفي الحلية أيضًا ٢/ ٣٦٤، و٦/ ١٧٧ من قوله تعالى لموسى عليه السلام. وقوله: «والمندرسة قبورهم» ليست في (ب).

(١) في (أ): ألا يكون ليَّ مراد.

لا يَخفى عليه شيءٌ من السرائر، فمالي وهذا التهجُّم والتوسّط بين السيد وعبده.

نقل أنه جاء إليه شخص وقال: علّمني شيئًا يكون سببًا لنجاتي. قال: احفظْ حرفيْنِ من العلم، واعلمْ أنّك لا تحتاجُ بعدهما إلى شيءٍ، فاعلمْ أنّ الله مطّلعٌ عليك، ويراك وعملك.

نقل أنه كان يمشي في طريقٍ، ويمشي خلفه شخصٌ، كلّما يرفعُ الشيخُ قدمَهُ، يضعُ هذا الشخصُ قدمَهُ في موضعِ قدمه، فالتفتَ إليه الشيخُ، وقال: يا فلان، لا تتبعِ المشايخ كذلك. قال ذلك الشخص: اعطني فلقةً من فروتك، أتبرَّكُ بها. قال الشيخ: فإن لبستَ جلدَ أبي يزيد لا ينفعك إن لم تعمل بأعماله.

نقل أنه رأى في غلبات الشوق شخصًا أشعثَ متغيّرَ اللون، رثيثَ الوضع، يقول: إلهي، انظرْ إليَّ. قال الشيخ: أنت على هذا الحال وتسألُ الله تعالى أن ينظرَ إليك؟! قال الشخص: نعم، ليحسُنَ حالي، ويكملَ جمالي. فطاب وقتُ الشيخ، وقال: أنت أصدقُ في هذا المقال منّي.

نقل أنه قال: قطعتُ سبعين ألف زنّارٍ، وبقي زنّارٌ واحدٌ، فما قدرتُ على قطعه، فتضرَّعْتُ وقلت: إلهي، ارزقني قوةً أقطعُ هذا أيضًا. فسمعتُ صوتًا يقول: يا أبا يزيد، حللتَ الزنانيرَ كلَّها، وأنت لا تقدرُ على قطع هذا؛ بل هو مُفّوضٌ إلينا.

نقل أنه قال: قرعتُ بابَ الحقِّ بكل يدٍ، ما فُتحَ لي إلى أن قرعتُهُ بيدِ قبولِ البلاء، فانفتح، وسألتُ الدخولَ في باب القُرب بكلِّ لسانٍ، فلم يُؤذنْ لي إلى أن سألتُ بلسان الحزن، وسعيتُ في هذا الطريق بكلِّ قدمٍ فما بلغتُ إلى باب العزَّة إلى أن سعيت بقدمِ الذُّلِّ.

نقل أنه قال: كنتُ ثلاثين سنة أقول: إلهي، افعلْ بي كذا، واعطني؛ فلّما وصلتُ إلى أولِ مقامِ المعرفة، قلتُ: إلهي، كن لي، وافعلْ ما تُريد.

نقل أنه قال: قلتُ في المناجاة: كيف الوصولُ إليك؟ سمعتُ قائلاً يقول: طَلّقْ نفسَكَ ثلاثًا، ثم قل: الله.

نقل أنه قال: إنْ طلبَ الله تعالى منّي يومَ القيامة حسابَ سبعين سنةً، أنا أطلبُ منه تعالى حسابَ سبعين ألفَ سنةٍ، حيث قال قبل سبعين ألفَ سنة: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وأوقعَ عالمَ الأرواح في الاضطرابِ من هذا الخطاب إلى الأبد؛ بل امتلأتِ السموات والأرضون شوقًا من هذا الخطاب. قال: ثم سمعتُ خطابًا: يا أبا يزيد، يومَ القيامة اقطعْ أعضاءَك ذرَّةً ذرة، وأرزقُ كلَّ ذرّةٍ منها بصرًا ينظر إلى جمالي، وأقول: هذا حاصلُ حساب السبعين ألف سنة.

نقل أنه قال: لو فُتحتْ ثمانيةُ أبواب الجنة في حجرتي، ويُقطعُ لي مُلك العالمين، لا يُساوي جميعُ ذلك بآهٍ واحدٍ طلعَ منّي في سحرٍ على غلبات الشوق، حين ذكرتُه من صميم القلب؛ بل لا أُعطي نَفَسًا تنفّستُ به مع ذكره بثمانية عشر ألف عالَمٍ.

نقل أنه قال: إن لم يرزقني اللهُ تعالى النظرَ إلى جماله ووجهه الكريم في جنةِ عدنٍ التي وعدَها للمُتّقين، أَندبُ وأبكي وأنوح حتى ينسى جميعُ أهلِ النار[1] رقةً على عذابهم في النار.

قال الذين كانوا قبلنا: نزل كلٌّ منهم إلى شيءٍ، وأمّا أنا فلا أنزلُ إلى شيءٍ سواه، وفدته نفسي بالكلّية.

قال: توجّهتُ إلى الخلقِ أربعين سنةً، ودعوتهم إلى الحقِّ، فما أجابني أحدٌ منهم، ثم أعرضتُ عنهم، وتوجّهتُ إلى الحقِّ، وجدتهم قد سبقوني إليه.

والمعنى: أنّي رأيتُ عنايةَ الله تعالى في حقِّهم أكثرَ من عنايتي فيهم.

قال: عكفتُ على هذا الباب سنين كثيرة، فما صار نصيبي عاقبةَ الأمرِ إلاّ الهيبة والحيرة.

---

(١) في (أ): حتى يبكي جميع أهل النار.

قال: وصلتُ إلى باب العزَّةِ والعظمة، فلم أجدْ هناك ازدحامًا؛ لأن أهل الدنيا كانوا مشغولين بالدنيا، محجوبون[١] عن الآخرة، وأهل الآخرة كانوا مشغولين بالآخرة، وأهل الدعوى بالدعوى، ووجدتُ أرباب الطريقة والتصوّفِ غرقى في بحار العجز.

قال: كنت طائفًا بالبيت زمانًا، فحين عرفتُ الله تعالى، ووصلت إلى قافِ القُرب، وجدتُ البيتَ طائفًا بي.

قال: كنتُ أطلب قلبي ثلاثين سنة، ثم سمعتُ في سحرٍ نداءً: يا أبا يزيد، ما لَكَ تَطلبُ غيرنا فما لك والقلب!

قال: ليس الرجلُ من يتبعُ مرادَهُ؛ بل الرجلُ أن يجيءَ إليه مرادُه حيث ما يكون.

قال: يُرزق المُريدُ حلاوةً في الطاعة، فإن فرحَ بها يصير فرحُهُ حجابًا له من قربه.

قال: إن أدخلني الله تعالى النارَ بدلَ جميعِ الخلق، وأنا أصبرُ، فبالنظرِ إلى دعواي في محبَّته لا يكون إلاَّ شيئًا قليلاً، وإن غفرَ لي ولجيمع الخلائق، فبالنظر إلى كمالِ رأفته ورحمته لا يكون أمرًا كثيرًا.

قال: التوبةُ من المعصيةِ واحدةٌ، ومن الطاعة ألف. يعني: العُجبُ في الطاعة أقَبحُ من المعصية.

قال: كمالُ درجة العارف احتراقُهُ في المحبة.

قال: إن لله عبادًا إن عُرضت عليهم الجنَّاتُ الثمانية مع زينتها وحورها وقصورها، فتضرّعوا وجزعوا واستغاثوا مثل أهلِ النار من النار.

قال: العابدُ بالحقيقة، والعاملُ بالصدق من رفعَ بسيفِ المجاهدة رؤوسَ

---

(١) كذا الأصلين.

جميع مراداته، وتلاشَتْ واضمحلّت شهواته ومنهياته في محبّة الله تعالى، ثم لا يحبُّ إلاّ ما أحبَّ الله، ولا يتمنّى إلاّ ما أراد الله تعالى.

قال: إن الله تعالى بسبب رضائه يُعطي الجنَّة عباده. ثم قال: إذا رضي الله عن أحدٍ فما له بعد ذلك والجنَّة؛ فإنَّ ذرةً من حلاوةِ المحبَّةِ والمعرفة خيرٌ من ألفِ حُورٍ وقصورٍ في الفردوس الأعلى.

قال: علمُ التوحيد يُعجزُ كثيرًا من الرجال، ويجعلُ كثيرًا من العاجزين رجالاً.

قال: إن قدرتم فارجعوا إلى فِنائكم الأول حتى تصلوا إلى سرٍّ[1] هذا الحديث، وإلاّ فصلاحُكم وزهدُكم هباءٌ تكيلونها.

قال: كما يضرُّكم الذنب يضرُّكم تحقيرُ الأخ المؤمن.

قال: الدنيا لأهلها غرورٌ في غرور، والآخرة لأهلها سرورٌ [في سرور]، ومحبَّةُ الله تعالى لأهل العرفان نورٌ على نور.

قال: العارف إذا سكتَ يكونُ مرادُه أن يتكلَّم الحقُّ، وإذا غمضَ عينه مقصودُهُ[2] أنه إذا فتح نظرَ إلى وجهِهِ الكريم، وإذا وضعَ رأسه على ركبتيه يُحبُّ أن لا يرفعَ إلى أن يسمعَ صوتَ إسرافيل، وذلك لغايةِ أُنسه بالله تعالى.

قال: علامةُ معرفة الله تعالى الفرارُ من الخلق، والسكوتُ في معرفته.

قال: من ابتلي بالخلق فإنه لا يَبخلُ عليه بالمملكة، وهو حينئذ لا يقنعُ بالعالمين.

العشقُ إذا دخل لا يتركُ في القلب ما دون الحقِّ.

قال: غدًا يومَ القيامة يُؤذنُ الخلق لزيارة ربِّ العالمين، ثم تُعرضُ عليهم صورٌ في الطريق، من اختار صورةً منها يُمنعُ عن الزيارة.

---

(١) في (أ): حتى ترجعوا إلى سرٍّ.

(٢) في (أ): وإذا غمض عينه حصل مقصوده.

قال: لا يكونُ شيءٌ للعبد خيرًا من أن لا يكون له شيءٌ: لا زهد ولا علم ولا عمل، فإذا لم يكن له شيءٌ يكون الكلُّ له.

أقول: معناه أنّه لا يكونُ له شيءٌ في حدِّ ذاته؛ بل يكون زهدُه لله، وعلمُه وعملُهُ لله، ولا يكون له نظرٌ ولا ابتهاج أيضًا إليها، فإذا كان كذلك لا شكَّ يكون الكلُّ له وينفعه، والله أعلم.

قال: إن هذه القصة ينبغي لها الألم، إذ لا يحصلُ شيءٌ من العلم.

قال: طلبُ العلم إنّما ينفعُ من يترقّى من العلم إلى المعلوم، وكذا من الخبرِ إلى المخبر، وأمّا من طلبَ علمًا للمباهاة، وطلب بذلك زينةً بين الناس ليقبَلَهُ مخلوق، فكلُّ يومٍ يزيد بعدُه من الله تعالى، ويصير مهجورًا منه.

لا قدرَ للدنيا بحيث يكون تركُها صعبًا على شخص.

قال: يستحيلُ أن يعرفَ اللهَ تعالى أحدٌ ولا يحبّه.

لله عبادٌ لو حُجبوا منه ساعةً في الدنيا أو في الآخرة لما عَبَدوه ولا أَطاعوه. قال: لأنَّهم لو حُجبوا عنه طرفةَ عينٍ فنوا، ومَنْ فنيَ وعدمَ وتلاشى وهلَكَ ولا يبقى له اسمٌ ولا رسم ولا أثر كيف يعبدُ الله ويطيعه؟!

من عرف الله تعالى لا يفتحُ لسانَه بذكرِ غيره.

أقلُّ شيءٍ يجبُ على العارف أن يهلَكَ ويصرفَ جميع شيءٍ له في طريقه من المالِ والمُلْك، والحقُّ هو هذا؛ لأنَّ جميعَ ما في الدنيا والآخرة بالنسبة إلى شعاعٍ من أشعَّةِ محبَّتِهِ يُعدُّ قليلاً.

ثوابُ العارف من الله تعالى إنَّما هو الحقُّ تعالى وتقدّس.

لو كان من فوقِ العرش إلى ما تحت الثرى، مع مئةِ ألفِ آدم بذرِّيّاتهم وأتباعهم ونسلهم[1] لا يُعدّ ولا يُحصى، ومئة ألف مَلَكٍ مُقرَّبٍ مثل جبريل وميكائيل عليهما السلام يدخلُ زاويةً من زوايا قلب العارف لا يُدركهم

(١) في (ب): بذرياتهم وأتباعٍ ونسلٍ.

ولا يحسُّ بهم في جنب معرفة الله تعالى، ولا يَظنُّهم موجودًا مع وجود الله تعالى، ولا يَحسُّ بدخولهم وخروجهم، وإن كان على خلافِ ذلك يكون مُدَّعيًا لا عارفًا.

إن ظهرَ المعروفُ للعارف، والعلمُ للعالم، يقول العارف: هو، ويقول العالم: أنا

أقول: معنى هذا الكلام أنَّ العارفَ إذا غرقَ في بحر المعرفة، وهلك بنفي ذاته، ويثبت ذات الحقِّ، وينظر إليه تعالى لا إلى نفسه، إذ لا يبقى له حينئذٍ وجودٌ، وذلك كما إذا أشرقت الشمسُ لا يبقى للكوكب نور ولا ضياء ولا وجودٌ في الحسِّ، فحينئذٍ يقول: هو لا أنا؛ وأمّا العالم فهو الذي لم يبلغْ إلى هذا المقام، وله نظرٌ إلى نفسِهِ، ويرى وجود نفسه، فلذلك يقول: أنا. فالأولُ في المحو، والثاني في الإثبات، والله أعلم.

قال: لا خطر ولا قدرَ للجنة عند أهل المحبة، وهم في النوم واليقظة مشغولون بالطلب، ولا يفترون منه طرفةَ عينٍ، ومع هذا لهم فراغةٌ عن الطلبِ أيضًا، وذلك لغلبة المشاهدةِ عليهم، فإنّ في مقام المشاهدة إن نظرَ العاشقُ إلى طلبه يكون خسرانًا عظيمًا؛ بل يجب أن يكونَ نظرُهُ في تلك الحالة إلى جمال معشوقه.

قال: إن الله تعالى اطّلعَ على قلوب أوليائه، علمَ أنَّ بعضَها لا يطيقُ حملَ المعرفة، فجعله مشغولاً بالعبادة، وما كلّفه لحمالةِ المعرفة.

لا يحملُ أحمالَ الحقِّ إلاّ من ذلَّلَ نفسه بالمجاهدة والرياضة.

ليت الناسَ يعرفون أنفسهم، فإن ذلك يكفيهم.

قال: اجتهدْ أن تجعلَ لك ساعةً[1] في جميع عمرك لا تَرى فيها غيرَ الله تعالى، ثم اجتهدْ أن يمضي عمرُكَ كلُّه بهذه الصفة.

---

(١) في (ب): أن يحصل لك ساعةٌ.

قال: علامةُ محبّة الله تعالى للعبدِ أن يُعطيَه ثلاثَ خصال: سخاوةً مثل سخاوة البحر، وشفقةً كشفقة الشمس، وتواضعًا كتواضع الأرض.

قال: الحُجَّاجُ بالبيت يطوفون حول البيت، ويسألون البقاء، والعارفون بالقلبِ يَطوفون حول العرش، ويسألون اللقاءَ.

في العلوم علمٌ لا يعلمه العلماء، وفي الزُّهدِ زهدٌ لا يعلمه الزهاد.

قال: صحبةُ الأخيار[1] خيرٌ من عمل الخير، وصحبة الأشرار شرٌّ من عمل الشر.

يمكنُ أن يعملَ في المجاهدة كلَّ عملٍ، ثم يرى ذلك بفضلِ الله تعالى، لا من فعل نفسه.

من عرف الله تعالى لا يحتاجُ إلى السؤال، ومن لم يعرف لا يفهمُ كلام العارفين.

قال: العارف من لا يكدّرُ مشربَه شيءٌ؛ بل إن وصلَ إليه كدورةٌ تصفو عنده.

قال: نارُ العذاب إنّما يكون على من لا يعرفُ الله تعالى، فأمّا من عرف الله تعالى يكون هو عذابًا على النار.

يدخلُ كلَّ يوم في هذا الطريق ألفُ رجلٍ، فإذا أمسوا لا يكون لهم إيمانٌ، ولا لهم علمُ شيءٍ من العرفان.

قال: كلُّ شيءٍ يحصل للعارف إنّما يحصل بقدمين: قدمٍ على نصيبه وحظِّه من الدنيا، وقدمٍ في طريق عبادةِ الله تعالى وتحصيلِ أوامره، ثم يرفعُ الأولى، ويثبّتُ الأخيرة.

قال: من ترك الهوى وصلَ إلى الحقِّ بلا كيف.

قال: من وصلَ إلى الحقِّ يحصلُ له كلُّ شيءٍ، ويكون له كلُّ مكانٍ.

---

(١) في (ب): صحبة الأولياء.

قال: العارفُ طيّار، والزاهدُ سيار.

أقول: الأولُ يطيرُ في هواء عالم الغيب، والثاني يسيرُ في فضاء عالم الشهادة، والله أعلم.

قال: لا يفرحُ العارفُ بشيءٍ غير الوصال.

قال: نفاقُ العارفين أفضلُ من إخلاص المريدين.

ما رُوي أنَّ موسى وعيسى عليهما السلام تمنَّيا لو كانا من أُمَّة محمد عليه الصلاة والسلام. يُظنُّ أنهما قالا ذلك لأجلِ فضائل جماعةٍ يطلبون الرئاسة في الدنيا، حاشا وكلاّ؛ ولكنَّهم رأوا في هذه الأمة من كانت أقدامُهُ تحتَ الثرى، ورأسه عبر من أعلى علّيين.

قال: من أماتَ قلبَهُ بكثرةِ الشهوات يكفّنُ في كفنٍ من اللعنة، ويُدفنُ في أرضٍ من الملامة.

قال: ما وصلَ إلى الحقِّ من وصل إلا بحفظ الحرمة، وما طُردَ مَنْ طُردَ إلاّ بترك الحرمة.

قال: لا يُدركُ غورُ حديثِ العشقِ بالطَّلبِ، مع أنّه لا يُدركُهُ إلاّ الطالبون.

أقول: معناه أنّه لا بدَّ مع الطلب من توفيقٍ إلهي، وعنايةٍ إلهية، يؤيّدُه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، والله أعلم.

قال: إذا صاحَ المُريد من غلبة الشوق يصيرُ حمارًا، وإن سكتَ يصيرُ بحرًا مملوءًا من الدُّرِّ.

قال: أظهرْ نفسَك كما كنت، أو كنْ كما تظهر.

أقول: حاصله موافقةُ الظاهر والباطن. والله أعلم

قال: قبضُ القلوب في بسط النفوس، وبسطُ القلوب في قبض النفوس.

أقول: معناه: من انقبضَتْ نفسُه بالكفِّ عن الشهوات، والامتناعِ عن اللذّات، ينبسطُ قلبه بحصول المقاصد الأصلية. ومن انبسطت نفسُه بسبب

حصول أمانيها من الهوى والشهوات لا جرم ينقبضُ قلبه عند الحرمان عن المقاصد، شعر:

إذا أنتَ لم تَخرجْ بزادٍ من التُّقى وشاهدْتَ بعد الموتِ من قد تزوَّدا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمثله وأنك لم ترصدْ كما كان أرصدا[١]

والله أعلم.

وقال: الحياةُ في العلم، والراحةُ في المعرفة، والذوقُ في الذكر والشوق.

دار ملك العاشقين نُصبَ فيه سريرٌ من السياسة، وفيه سيفٌ من هول الهجران، وأُعطي العاشقون ورقًا من نرجسِ الوصال، وفي كلِّ نَفَسٍ يُقطع بذلك السيف ألفُ رقبة وأكثر.

قال: المعرفةُ أن تعلمَ أن حركاتِ العباد وسكناتهم بحول الله تعالى وقوّته.

و: التوكّلُ أن تحصرَ عيشَك في يومك الذي أنت فيه، وتقطعَ فكرَك وأملك عن الغد بالكلّية.

قال: المحبّةُ أن تعدَّ كثيرَك قليلاً، والقليلَ من الحقِّ كثيرًا.

والمحبّةُ[٢] أن لا تحبَّ الدنيا والآخرة.

و: اختلافُ العلماء رحمةٌ إلاّ في التوحيد والتجريد.

أقول: لأنّ الاختلاف في التوحيدِ كُفْرٌ، وفي التجريد جهلٌ وغرور، فإنّ حقيقةَ التجريد تركُ ما سوى الحق. [والله أعلم]

قال: الجوعُ غيمٌ لا يمطرُ منه إلاّ الحكمة.

قال: أقربُ الناس إلى الحقِّ من يحتملُ أذى الناس كثيرًا، ومع ذلك يكونُ صاحبَ خُلُقٍ حسن.

قال: نسيان النفس عينُ ذكر الله تعالى.

---

(١) البيتان للأعشى ميمون بن قيس، الديوان ٦٩، ٧٠، وفي الأصلين: كما كان راصدا.
(٢) من هنا نقص في (أ) حتى الصفحة (٢١٦).

قال: قلبٌ كمصباحٍ في قنديلٍ من زجاجٍ صافٍ ينوّرُ شعاعُه جملةَ عالم الملكوت.

قال: هلاكُ الخلق في شيئين: تركُ حرمة الخلق، وتركُ احتمال المنّة من الله تعالى.

قيل: سئل عنه: ما الفريضةُ وما السُّنة؟ قال: الفريضةُ صحبةُ المولى، والسُّنَّةُ تركُ الدنيا.

نقل أن واحدًا من المُريدين أرادَ إنشاءَ سَفَرٍ، فاستوصى الشيخَ، فقال: أوصيك بثلاثة[1] خصال: إن اتّفقَ لك مرافقةٌ ومصاحبةٌ مع شخصٍ قبيحِ الخلق، اجتهدْ حتى يصيرَ خُلُقُ الشيخ حسنًا، فيصير عيشُك هنيًّا. وإن أنعمَ عليك شخصٌ فاشكرِ الله تعالى أولاً، ثم اشكرْ ذلك الشخص، فإنَّ الله تعالى قد جعلَهُ عليك شفيقًا. وإن وصلَ إليك بلاءٌ ومحنةٌ فاعترفْ بعجزك، واستغث إلى الله تعالى؛ فإنَّه ليس لك طاقةُ الصبر، والله لا يبالي.

سئل عن الزهد، فقال: لا قيمةَ له؛ فإنّي زهدتُ ثلاثةَ أيام: ففي اليوم الأول زهدتُ عن الدنيا وما فيها، وفي اليوم الثاني عن الآخرة، وفي اليوم الثالث عمّا سوى الحقِّ، فسمعتُ هاتفًا يقول: يا أبا يزيد، لا طاقةَ لك بنا. قلتُ: ذلك مُرادي ـ أي أن لا تكونَ طاقةٌ ـ ثم سمعت قائلاً يقول: وجدت وجدت.

سئل عن كمال رضا العبد عن الحقِّ، قال: لا أعلمُ كمالَ الرضا؛ ولكنْ أُخْبِرُ شيئًا عن وصف رضاي منه بلغَ حدًّا لو أنه رفعَ عبدًا من عباده إلى أعلى علّيين، وجعل مقامَهُ هنالك خالدًا، وأنزلني إلى أسفل السافلين، ويجعل مقامي هنالك أيضًا مُخلّدًا، فإنّي أرضى من الله تعالى من ذلك العبد.

سئل عنه: متى يصلُ العبدُ إلى درجة الكمال؟ قال: إذا عرفَ قيمةَ نفسه، ولا يتّهم الناس، ثم إن الله تعالى بقدر همَّتِهِ وبُعده عن نفسه يُقرِّبُهُ إليه.

---

(١) كذا.

سئل عنه: كيف الطريق إلى الحقِّ؟ قال: أنت قمْ من الطريقِ، وقد وصلت.

قيل: سمعنا كثيرًا من كلامِ المشايخ، وما سمعنا أعظمَ من كلامك! قال: هم حدّثوا عن بحرِ صفاء المعاملة، وأنا أُحدِّثُ عن بحر صفاء المنَّة.

قال له شخصٌ: أوصني. قال: ارفعْ رأسَكَ، وانظرْ إلى السماء. فنظر، قال: هل تعرفُ[1] من خلق هذا؟ قال: نعم. فقال للشخص: فالذي خلقَ هذا السقفَ العجيب الرفيعَ أينما تكونُ هو مطّلعٌ عليك، فكنْ منه على حذر.

قيل: مع من نُصاحب؟ قال: صاحبْ شخصًا إذا مرضتَ يعودُكَ، وإذا أذنبْتَ يتوبُ هو، وما يصدُر منك لا يكون مَخْفيًا عنه.

أقول: معنى (أن يتوبَ هو بذنبك) يعني أنّه: إذا عدَّ ذنبَكَ من ذنوب نفسه، فلا جرمَ يتوبُ هو، ويدلُّكَ على التوبة، ويكون أمينًا من الإفشاء إذا اطّلعَ على بعضِ سرائرك، فحينئذ تستريح في مصاحبته. حاصلُ الكلام أن المصاحبَ ينبغي أن يكون في كمال الاتحاد، كما قيل:

رُوحي وروحُكَ مَمْزوجٌ ومتَّصلُ فكلُّ عارضةٍ تُؤذيك تُؤذيني

[والله أعلم]

وقال: العارفُ من لا يرى في المنامِ غيرَ الله تعالى، ولا يوافق إلاّ إيَّاه، ولا يبوحُ بسرِّه إلاّ لديه.

قيل: متى يعلمُ الرجلُ أنّه قد وصل إلى حقيقة المعرفة؟ قال: إذا صارَ فانيًا، وفي المحبَّةِ باقيًا، ويجلسُ على بساط الحقِّ بلا خلق ولا نَفَس، فيكون حينئذ فانيًا باقيًا، وباقيًا فانيًا، ميتًا حيًّا، وحيًّا ميتًا، محجوبًا[2] مكشوفًا، ومكشوفًا محجوبًا.

---

(١) في (ب): قال: هل من خلق.

(٢) هنا ينتهي السقط من (أ) الذي بدأ صفحة (٢١٤).

قيل: كيف حالُ من يكون غريقًا في بحر المكاشفة؟ قال: إنه لا يلتفتُ إلى الكونَيْنِ، ويطوي بساط القيل والقال.

قال: من عرفَ اللهَ تعالى كلَّ لسانُهُ[١].

قيل: ما الفقر؟ قال: أن يصادفَ المحبُّ في زاويةٍ من زوايا قلبه كنزًا، ثم يجدُ في ذلك الكنزِ جوهرًا يُسمّى محبةً، فمن وجد ذلك الجوهرَ فهو الفقير.

قيل: متى يصلُ السالكُ إلى الله تعالى؟ قال: يا مسكين، وهل يصلُ إليه أحدٌ حتى يقال متى يصل!

قيل: يا شيخ، بِمَ وجدتَ ما وجدتَ؟ قال: جمعتُ أسبابَ الدنيا كلَّها وشددْتُها بسلسلةِ القناعة، ووضعتها بمنجنيق الصدق، ورميتها في بحر الحرمان.

قيل له: كم عمرُكَ؟ قال: أربع سنين. قيل: وما معنى هذا الكلام؟ قال: إنّي كنتُ في حُجُبِ الدنيا سبعين سنة، ولكنْ منذ أربعِ سنين خرقتُ الحُجُبَ، وأرى الحقَّ بلا كيفٍ، فلا جرمَ لا يكون أيام الحجاب إلّا أربع سنين من العمر.

قيل له: كم تمدحُ الجوع! قال: لأنّه لو كان فرعونُ جائعًا لما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

قال: لا يجدُ المتكبِّرُ رائحةَ المعرفة أبدًا. قيل: وما علامةُ المتكبِّر؟ قال: أن لا يرى نَفْسًا أَنْفَسَ من نفسه.

قيل له: أنت تمشي على الماء! قال: عودٌ من الحطبِ يمشي على الماء. قيل: تطيرُ في الهواء! قال: الطيرُ أيضًا يطيرُ في الهواء. قيل: تصلُ إلى الكعبة في ليلةٍ! قال: ساحرٌ يأتي من الهند إلى دماوند[٢] ـ وهو جبل في قرب هَمَذَان ـ بليلةٍ. قيل: فما شغلُ الرجال؟ قال: ألا يتعلّق قلبُ الرجال بغير الله تعالى

---

(١) انظر الحاشية (١) صفحة ١٢٣.

(٢) كذا في جميع الأصول: (أ) و(ب) و(المطبوع الفارسي) ـ أما الترجمة العربية فجاءت: دوماند. ولعلّها تحريف: دُنْباوَنْد، وهو جبل في نواحي الري. (معجم البلدان).

قيل: كيف كانت أحوالك بعد تلك المجاهدات؟ قال: طلّقتُ الدنيا ثلاثًا، ثم وقعتُ في الحضرة مجرّدًا، وقلت: إلهي، ما لي أحدٌ غيرك؛ ولكن إذا كنتَ لي فالكلُّ لي، وكان صدقي بالإخلاص، فأول ما فعلَ بي أن رفعَ من عيني قذَى النفس.

قال: إنّ الله تعالى أمرَ ونهى، فامتثلَ طائفةٌ أمرَهُ ونهيه، فشرّفهم بتشريفات، فاشتغلوا بالتشريفات، وأما آنا فما طلبتُ منه إلاّ إياه.

قال: ذكرتُهُ مقدارَ ذكرِ الخلائق كلِّهم، حتى صار ذكري ذكره، ثم سعيتُ إلى معرفتِهِ فأفنتني، ثم سعيتُ إلى معرفته ثانيًا فأحيتني.

قال: ظننتُ أنّي أحبُّه، فإذا محبَّتُهُ إيّاي كانت أسبق.

قال: غرقتِ الخلائقُ في بحر العلم، وأنا غرقتُ في بحر الله تعالى. يعني: نظرُ الخلائق إلى رياضاتهم، ونظري إلى عناية الحقِّ.

قال: أخذَ الناسُ العلمَ من الأموات، وأنا أخذتُهُ من الحيِّ الذي لا يموت.

الناس يقولون بالحقِّ، وأنا أقول مِنَ الحقّ.

قال: دعوتُ النفسَ إلى الحقِّ، فما أجابتني، ثم تركتُها وتوجَّهتُ إليه وحدي.

قال: نُقل قلبي إلى ملكوت السموات، فسار فيها ورجع، فقلتُ: وبماذا رجعتَ؟ قال: بالمحبة والرضا.

قال: أردتُ أن أعرفَ أشدَّ عقوبةٍ على نفسي، فما وجدتُ أشدَّ من الغفلة، فإنّه لا تعملُ نارُ جهنَّم مع الرجالِ ما تعملُ ذرّةٌ من الغفلة.

قال: كم سنين أُصلّي، واعتقادي في كلِّ طرفةِ عينٍ أنّي مُشركٌ، أقطعُ الزُّنَّارَ من وسطي.

قال: حالُ النساءِ أحسنُ من حالنا؛ لأنَّهنَّ يغتسلن[1] في كلِّ شهرٍ مرةً، ونحن لا نغتسلُ في العمر مرة.

---

(١) في (أ): أحسن من أحوالنا؛ فإنهنَّ يغتسلن.

قال: غدًا يومَ القيامة أُحبُّ أن يُقال لي: هلاّ فعلت؟ من أن يُقال: لِمَ فعلت؟

قال: رأيتُ الله في المنام، قلت: إلهي، كيف الطريقُ إليك؟ قال: اتركْ نفسَك، ووصلت إليَّ.

قال: رأيت الله تعالى في المنام، قال: يا أبا يزيد، ماذا تُريد وتطلبُ؟ قلتُ: أريدُك وأطلبك. قال: أنا لك كما أنت لي.

قال: يظنُّ الناسُ أني معهم ومنهم، فلو علموا وصفي في عالمِ الغيب لدهشوا وهلكوا.

ذكر معراج أبي يزيد روّح الله روحه

قال رحمه الله: نظرتُ إليَّ بعين الحقيقة بعد أن أَوصلني الله تعالى من جميع الموجودات إلى درجة الاستغناء، ونوّرني بنوره، وأظهرَ عليَّ الأسرار، وأراني عظمةَ هويَّتِهِ، ثم نظرتُ منه إليَّ، وتأمَّلْتُ صفائي[١]، فإذا نُوري في جنبِ أنواره ظلمةٌ، وعظمتي في جنبِ عظمتِهِ حقارةٌ، وتلاشت عزّتي في جنب عزّته، هناك كان صفاءٌ، وعندي كان كدورةٌ، ثم نظرتُ، فوجدتُ نوري بنوره، وعظمتي بعظمته، وعزّتي بعزّته، علمتُ أنَّ ما فعلتُ إنّما كان بقدرته، وما وجدتُهُ إنّما هو منه، فنظرتُ بعين الإنصاف، علمت أنَّ عبادتي إيّاه كانت منه، وأنا ظننتُ أنَّها كانت منّي، قلتُ: وما هذا يا رب؟ قال: أنت مُباشرٌ لأفعالك، وأنا المقدّرُ والميسِّرُ، فلو لم يكن منّي توفيقٌ لا يكونُ منك طاعةٌ. ثم نظري اشتغلَ منّي إليه، وأفناني هو من وجودي، وأبقاني ببقائه، وأعزّني وعرّفني هويَّتَهُ بلا مزاحمةٍ منّي، فلا جرمَ ازداد لي علمُ الحقيقة، فنظرتُ من الحقِّ إلى الحقِّ، وأقمتُ في مقعدِ صدقٍ، واطمأننتُ هناك، وسدَدْتُ صِماخَيْ أُذني، وجررتُ لساني في فمي، وتركتُ العلمَ الكسبيَّ ورفعتُ من أجمة النفس[٢] الأمّارة من

---

(١) في (ب): وتأملت صفاتي.

(٢) في (ب): ورفعت مزاحمة.

البين، فسكتُّ مدّةً بلا آلةٍ وعدّةٍ، فالحقُّ جلّ جلاله رحمني، وعلّمني من علوم الأزل، ووضع في فمي لسانًا من لُطفه، وخلق لي عينًا من نوره، فرأيتُ بالحقِّ جميعَ الموجودات، وناجيتُ اللهَ تعالى بلسانِ اللُّطف، وحصلَ لي علمٌ من علوم الحقِّ، فنظرتُ إليه بنوره، ثم قلت: إلهي، لا أغترُّ بهذا وبوجودي، لا أستغني عن وجودِك، وأنت تكونُ لي بلا أنا خيرٌ لي من أَنْ أكونَ لي بلا أنت، وأَتكلّمُ بك معك خيرٌ من أن أتكلَّمَ مع نفسي بلاك. فقال: لازم الشريعةَ، ولا تجاوزْ حدودَ الأمر والنهي؛ لئلا يَضيعَ لدينا سعيُكَ، وتصيرُ مشكورًا عندنا. قلت: إن شكرتني منك لا منّي، وإن ذممتني فأنت مُنزّهٌ عن العيوب، فحين نظرَ الحقُّ جل جلاله صفاء سرّي، وسمع قلبي نداء رضا الحقِّ، ورقم عليَّ بقلم الرضا، ونوّرني، وعبّرني عن ظُلماتِ النفس وكدورات البشرية، علمتُ أنّ حياتي به، ومن فضله بساطُ المسرّةِ في قلبي، فقال: سل ما تُريد. قلت: ما أُريدَ إلاّ إيّاك، فأنت أفضلُ من الفضل، وأكبرُ من الأكبر، وأكرمُ من الكرم، وقنعتُ بك منك، إذا أنتَ كنتَ لي فأنا أطوي منشورَ الفضل والكرم، لا تُبعدْني منك، ولا تُعطني ما دونك. فلم يجبني زمانًا، ثم وضعَ على رأسي تاجَ الكرامة، وقال: لا تقلْ إلاّ الحقَّ؛ لأنَّك تطلب حقيقتي، ورأيتَ الحقَّ وسمعتَ الحقَّ. قلتُ: إن رأيتُ فبك رأيتُ، وإن سمعتُ فبك سمعتُ، وأثنيت عليه حتى أعطاني من كبريائه جناحًا أطيرُ به في ميادين عزّه، وأنظر إلى عجائب صنعه.

ثم قال لي: لمن الملك؟ قلت: لك. قال: لمن الحكم؟ قلت: لك. قال: لمن الاختيار؟ قلت: لك. ولمّا ألقيتُ نفسي مع ضعفي في كلِّ وادٍ، وأذبتُ جسدي بنار العبرة في كلِّ بوتقةٍ، وأجريتُ خيل الطلبِ في فضاء كلِّ صحراء، ما رأيتُ صيدًا خيرًا من الافتقار، ولا شيئًا أحسنَ في هذا الطريق من العجز، ولا أضوأَ من السكوت سراجًا، ولا كلامًا أنفعَ من ترك الكلام، فسكنتُ دارَ السكوت، ولبستُ خرقةَ الصبرِ حتى وصلْتُ إلى مقامٍ صار ظاهري وباطني خاليًا من علّةِ البشرية، ففُتح في صدري فرجةٌ من الفرح، وأعطاني لسانًا من

التجريد والتفريد والتوحيد، فلساني من لُطفِ صمدانيته، وقلبي من نورِ ربّانيته، وعيني من صنع حكمته بمدده.

أقول: وبقوَّتِهِ أبطشُ، وبه أحيا وبه أموت، فلا أُحدّثُ من غيره لأكونَ مُحدِّثًا، ولا من نفسي لأكون كاذبًا، فهو يُديرُ لساني في فمي بما يريد، وأنا في الوسط كالترجمان، والمتكلّمُ في الحقيقة هو لا أنا.

ثم قال: يا أبا يزيد، الخلائقُ يُريدون أن يَروك. قلت: أنا لا أريدُ أن أراهم؛ ولكن لا أخالفُ إرادتك ورضاءك، فزيّنّي بوحدانيتك، وأرني إيّاهم، حتى الخلق إذا رأوني رأوا صنعَكَ، فكأنَّهم رأوا الصانع، وأنا لا أكون في الوسط. فلمّا خطوتُ قَدَمًا من الحضرة إلى الخلق سقطتُ في القدم الثاني، فسمعتُ مناديًا يقول: ارجعوا حبيبي، فإنّه لا يطيق إلاّ بي، ولا يهتدي إلاّ بي. ثم رجعتُ ووصلتُ إلى أول مقام التوحيد، فسعيتُ في[1] ذلك الوادي سنين بقدم الأوهام حتى صرتُ طيرًا عينُهُ من الوحدانية، وجناحُهُ من الديمومية، كنت أطيرُ في هواءٍ بلا كيف، ولمَّا غبْتُ من المخلوقات، وصلتُ إلى الخالق، وأطلعتُ رأسي من وادي الديمومية، وتجرَّعْتُ كأسًا، فعطشتُ حتى لا أَرتوي إلى الأبد، ثم طرتُ ثلاثين ألف سنة في فضاءِ وحدانيته، وثلاثين ألف سنةٍ في ألوهيّته، وثلاثين ألف سنة في فردانيته، فلمَّا عبر سبعون ألف سنة خرجتُ من جلدي[2]، ورأيتُ أبا يزيد، ثم قطعتُ أربعةَ آلاف بادية، وانتهيت إلى المقصود، ثم نظرتُ، فإذا أنا في بدايةِ درجة الأنبياء عليهم السلام، سعيتُ إلى العالم الغير المتناهية[3] حتى ظننْتُ أنّه ما سبقني أحدٌ في هذا العالم، فرأيت تحت رأسي قدمَ نبيٍّ من الأنبياء، فسلّمتُ أن: نهايةَ حالِ الأولياء بدايةُ حال الأنبياء، ولا نهاية لأحوال الأنبياء.

---

(١) في (أ): فسمعتُ في ذلك الوادي.

(٢) في (أ): فلمّا عبر تسعون سنون خرجت من جلدي.

(٣) في (أ): سعيت إلى عالم الغير المنتهي.

ثم عبر روحي على جميع عالم الملكوت، وعُرضتْ عليه الجنة والنار، فلم يلتفتْ إليهما، وما وصلتُ في عروجي إلى روحٍ إلاّ سلّمتُ عليه، حتى وصلتُ إلى الروح المحمدي ﷺ، رأيتُ هناك بحورًا من النار، وألفَ حجابٍ من النور، فإنّي لو خضتُ في أولِ تلك البحور لاحترقتُ بأولِ قدمٍ، دهشتُ من الهيبةِ إلى أن لم يبق منّي أثرٌ، وكلّما اجتهدتُ في أن أنظرَ إلى خيمة النبيِّ ﷺ؛ بل وتد خيمتِهِ ما قدرتُ على ذلك، ثم وصلتُ إلى الحقِّ، والسرُّ في ذلك أن كلاً من الأولياء يصلُ إلى الحقِّ على قدر قابليته، فإنَّ الحقَّ جلَّ جلاله مع الجميع؛ أمّا النبيُّ ﷺ فهو في الحرم الخاصِّ[1] والمقام الأعلى، ولذا حتى لا ينقطعَ وادي لا إله إلا الله لا يقدرُ على الوصول إلى بداية وادي محمد رسول الله ﷺ.

أقول: ويؤيِّدُهُ ما نقلُ عن جبريل عليه السلام أنه تخلَّفَ عن رسول الله ﷺ ليلة المعراج، وقال: لو دنوتُ لاحترقتُ[2]. قال الله تعالى حكاية: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] والله أعلم.

ثم قلتُ: ماذا أعملُ يا ربِّ؟ قال: خلاصُكَ في إخلاصِ متابعتك لحبيبي المصطفى ﷺ، فاكحلْ عينيك بغبار أقدامه، وداومْ متابعتَهُ؛ فإنَّ سعادةَ الدارَيْنِ في ضمن متابعة شريعته مندرجةٌ كما قال الله تعالى آمرًا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

أقول: فإن قلتَ: كيف يجوزُ أن يكونَ لأبي يزيد معراجٌ، وقد كان المعراجُ مَخصوصًا بالنبيِّ ﷺ؟ قلت: يجوزُ أن يكون لأبي يزيد معراجٌ مَعنويٌّ رُوحانيٌّ لا جسماني؛ بل المعراج بهذا المعنى يجوز لكلِّ واحدٍ من آحاد المؤمنين، كما قال النبي ﷺ: «الصلاةُ معراج المؤمن»[3] وأمّا المعراجُ بالجسدِ من المسجد

---

(١) في (أ): هو في إحرام الخاص.

(٢) حديث رواه ابن حبان في كتاب العظمة ٢/ ٦٧٧ (٩).

(٣) حديث ذكره المناوي في فيض القدير ١/ ٤٩٧.

الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم منه إلى سماء الدنيا، ثم إلى ما شاء الله تعالى من العُلا، فلا شكَّ ولا خلافَ في أنّه مخصوصٌ بالنبيِّ ﷺ، لا يجوزُ أن يحصلَ مثلُه لأبي يزيد وغيره من الأُمّة، والله أعلم.

ذكر مناجاة أبي يزيد رحمه الله

إلهي، إلى متى أنا أدفعُ أنانيتي لئلاّ أكونَ أنا.

إلهي، إذا أكون معك أكونُ أرفعَ وأكملَ من كلِّ شيءٍ، وإن أكون معي أكونُ أنقصَ من كلِّ شيءٍ.

إلهي، قرّبني منك الفقرُ والفاقةُ، ولطفُكَ ما أزالهما عنّي.

إلهي، لا أريدُ أن أكونَ من القرّاء ولا من العلماءِ ولا من الزُّهاد؛ ولكن أريدُ أن تَجعلني ممّن يشمُّ رائحةً من أسرارك، وتُوصلني إلى درجةِ أحبابك وأوليائك.

إلهي، أدلُّك عليك، وبكَ أصلُ إليك.

إلهي، ما أَحسنَ واقعاتِ إلهاماتك على خطرات قلبي! وما أحلى تفهيمك في طُرقِ الغيب! وما أعظمَ حالةً لا يقدرُ الخلقُ على كشفها، ولا يعرفُ اللسانُ وصفَها! ولا تصحُّ هذه القصة بالشرح.

إلهي، لا عجبَ في أنّي أحبُّكَ، وأنا عبدٌ عاجزٌ ضعيف فقيرٌ؛ ولكنَّ أعجبَ العجائب، وأغربَ الغرائب في أنَّكَ مع كمال ألوهيتك، وعظمةِ سُلطانك تحبُّني.

إلهي، أنا اليومَ في غايةِ السرور والفرح، مع خوفٍ عظيم، فكيف يكونُ السرور إذا ارتفع الخوف بالكلّية، وأصير آمنًا.

نقل عنه أنّه قال: وصل أبو يزيد إلى حضرة القدس سبعين مرّةً، وحصل له مقامُ القربِ سبعين مرة، وفي كلِّ مرّةٍ عند الرجوع[1] يشدُّ زنَّارًا ويقطعه، فلمّا

---

(١) في (ب): وفي كل نوبة عند الرجوع.

انتهى عمرُهُ إلى الآخر دخلَ المحرابَ، وشدَّ زنَّارًا، وكانت له فروةٌ عتيقة، قلبها، ولبس مقلوبةً، وقلبَ قلنسوته أيضًا، وقال:

إلهي، لا أتوسَّلُ بالرياضات وفي المجاهدات الواقعة[١] منّي في مدّةِ عمري، ولا أعرضُ الصلاةَ التي صلّيتها في دياجير الليالي، ولا أَذكرُ صيامي في عمري، ولا أعدُّ قراءةَ القرآنَ والمناجاة والذكر، ولا أنظرُ إلى شيءٍ منها، وأنت علاّمٌ بحالي، خبيرٌ بصدق مقالي، وتعلمُ عنّي أنّي إنّما شرحتُها باللسان، لا أني ذكرتُها للافتخار والاعتماد؛ فإنّ لي عارًا عظيمًا منها[٢]، إذ ليستْ تليقُ بجناب قُدسك، ولا بعظمةِ كبريائك، وهذه الحالُ أيضًا تشريفٌ من تشريفاتك.

إلهي قدّرْ أنّي ما فعلتُ شيئًا، ولا عملتُ في الإسلام عملاً؛ بل قدّرْ أنّي رجلُ قبيحُ الظنِّ سَيِّئُ الأعمال، عبرتُ عمري في الكفرِ والإشراك، وابيضَّ شعري في ذلك، ومضى عليه سبعون سنة، وأنّي ما عرفتُك ولا تبعتُ شريعةً، واليوم طلعتُ من البادية. أقول بالتركية[٣]: تنكري تنكري[٤]، وأتعلّم اليوم كلمةَ الله الله، وأقطعُ زنّارَ الكفر، وأضع قدمي في دائرةِ الإسلام، والآن أفتحُ لساني بالشهادة، وأقول: أشهدُ أن لا إله إلا أنت، وحدك لا شريكَ لك، وأشهد أنَّ محمّدًا عبدُكَ ورسولك، وأعلمُ أنَّ شأنَكَ بريءٌ من العلّة، وقبولك ليس في الطاعة؛ بل بمحضِ الفضل، وردُّكَ ليس بالمعصية؛ بل العدل.

إلهي، ما صدر منّي من الأعمال والطاعات حسبتها هباءً منثورًا، فإنك أيضًا بكرمِكَ ما رأيت منّي ممّا تسخط، ولا ترضى به، اعفُ عنّي، ولا تُؤاخذني به، واغسلْ عنّي غبار المعاصي، فإنّي غسلتُ من وجهِ طاعتي غُبارَ العجب.

نقل أنه في الابتداء كان يقول كثيرًا: الله الله، وفي حالةِ النزع كان يقول: الله الله، ثم قال: إلهي، ما ذكرتُكَ بالحضورِ ساعةً، والآن حضرني

---

(١) في (ب): لا أتوسّل بالرياضة في المجاهدات.

(٢) في (أ): فإني له عارًا عظيمًا.

(٣) في (أ): أقول بالتركي.

(٤) تنكري: كلمة تركية تعني: الله.

الوفاةُ، وإنّي غافلٌ عن طاعتك، ما أدري متى أذكرُكَ وأطيعُكَ على حضورِ القلب؟ ففي الذكر والتكلّمِ بكلمة (الله) جادَ بنفسه.

أبو موسى كان من المُريدين، وفي ليلة وفاة الشيخِ لم يكن هناك، قال: رأيتُ تلك الليلة في المنام كأنّي وضعتُ عرشَ الرحمن على رأسي، وأذهب به، فانتبهتُ، وقصدت الشيخَ لأقصَّ عليه الرؤيا، فالتقيته موضوعًا على الجنازة، واجتمعَ خلقٌ كثير لمشايعة جنازته، واجتهدتُ أن أرفعَ طرفًا من الجنازة، وما وصلَ إليَّ لازدحام الناس، فدخلتُ تحتها لمّا رفعوها، وهي على رأسي، وأنا أمشي، وقد نسيتُ الرؤيا، رأيتُ روحانيةَ الشيخ، قال: يا أبا موسى، هذا تعبيرٌ رؤياك التي رأيتَها البارحة؛ فإنَّ عرشَ الرحمن أبو يزيد في التعبير.

نقل أن شخصًا من المُريدين رأى الشيخ في المنام، وقال له: كيف نجوتَ من المنكر والنكير؟ فأجابه الشيخ وقال: لما سألني المَلَكانِ، قلتُ لهما: وما ينفعُكما جوابي بأن ربّي هو الله؛ ولكن ارجعا، واسألا الحقَّ جلَّ وعلا أني مقبولٌ عنده أم لا؟ وما أنا على بابِ عظمته؟ فإن قلتُ ألفَ مرَّةٍ: هو سيدي وإلهي، فإن لم يقبلْ منّي، ولم يصدّقني، فماذا ينفعُ[1] هذا الاعتراف؟!

نقل أنه رآه في المنام شخصٌ من أكابر الدِّين، وقال له: ماذا فعل الله بك؟ قال: قال الله: بما جئتَ يا أبا يزيد؟ قلت: إلهي، ما جئت بشيءٍ يليقُ بحضرتك، ومع هذا ما جئتُ بالشِّركِ أيضًا. فقال الله تعالى: وما تقولُ في ليلة اللبن؟ قال: إنّي شربتُ في بعضِ الليالي شيئًا من اللبن، فأوجعني بطني، وفي الغد جرى على لساني: أنّي البارحةَ شربتُ اللبن، واتَّجَعَ بطني، فعاتبني الله تعالى بهذا القدر. يعني الوجع ما حصل من اللبن.

نقل أنّه لما دُفنَ الشيخُ، جاءت أمُّ عليٍّ زوجة أحمد بن خضرويه إلى زيارة قبره، ورجعت وقالت: هل تعرفون أن أبا يزيد من كان؟ قالوا: أنت أعرفُ به

(١) في (أ): فما ينفعني هذا الاعتراف.

منّا. قالت: كنتُ ليلةً في الطواف، فحصلَ لي نعاسٌ، فانتعستُ، فرأيتُ فيما يرى النائم أنّي صعدتُ السماءَ، ورأيتُ إلى ما تحت العرش باديةً عريضةً، لا يعلم عرضَها وطولَها إلاّ الله تعالى، وجميعُ البادية مملوءٌ من الأزهار والرياحين، مكتوبٌ على كلِّ ورقةٍ منها: أبو يزيد وليُّ الله.

نقل أن شخصًا من المشايخ رآه بعد موتِهِ في المنام، وقال له: وصّني. فقال: الناسُ بحرٌ عميق والبعدُ منهم سفينة، اجتهْد أن تجلسَ في هذه السفينة، وتنجي بدنَكَ المسكين[1].

نقل أن رآه في المنام شخصٌ، وقال له: ما التصوف؟ قال: التصوف أن تُغلقَ عليكَ أبواب الراحة، وتقعدَ في زاويةِ المحبَّةِ.

قيل: جاء إليه أبو سعيد بن أبي الخير رحمه الله وجلسَ ساعةً، وقام، ووقفَ ساعةً، ثم رجع وقال: هذا مقامُ مَنْ ضيّع في الدنيا شيئًا، فليطلب هنا.

اللهم، إنّا نسألُكَ ونتضرَّعُ إليك أن تجعلنا ممّن عرفَكَ فأطاعك، وتبعدنا من زمرة مَنْ جحدَكَ وعصاك يا ربّ العالمين، والحمد لله وحده.

* * *

(١) كذا في الأصل، وكأنه ترجمة بيتي منصور بن إسماعيل الفقيه:

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينهْ
وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينهْ

انظر معجم الأدباء ٦/ ٢٧٢٣.